البحوث

مشروع حملة محمد باشا أبو مرق على الدولة السعودية الأولى (١٢١٩-١٢٢٠هـ/١٨٠٤-١٨٠٥م) في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية

د. محمد عبدالعاطي أحمد

تتتبّع الدراسة محاولات الدولة العثمانية القضاء على نفوذ الدولة السعودية الأولى المتزايد، وهو ما جعلها تخشى مكانتها؛ فلجأت إلى وسائل دبلوماسية مع حكام الدولة السعودية لم يُكتب لها النجاح، فكلفت ولاتها في الشام والعراق بتجهيز حملات عليها من دون نتيجة تذكر، واهتدت لاحقًا إلى تكليف محمد باشا أبو مرق الذي كانت له خبرة حربيّة، ولكن لطمعه في تعيينه على الشام، وعدم تحقيق الدولة العثمانية لآماله، ماطلَ في الخروج لمجابهة الدولة السعودية؛ فانتهى الأمر بمقتله وقطع رأسه، وصلبه على أحد أبواب مدينة إستانبول، بسبب ذلك، إضافة إلى دسائس بعض الولاة ضده كوالي حلب ووالي الشام.

Muhammad Pasha Abu Maraq's Proposed Campaign Against the First Saudi State (AH 1219-1220 / 1804-1805) in the Light of Ottoman Documents and Sources

Dr. Mohamed Abdelatty Ahmed

This article follows Ottoman efforts to out an end to the increasing influence of the First Saudi State, a factor which caused it to fear its position. Initially, it sought to achieve its aim through diplomatic means with the rulers of the First Saudi state, but those proved to be unsuccessful. Consequently, the Ottomans entrusted their governors in Syria and Iraq with the task of preparing campaigns against the Saudi state, but these also did not succeed. Ultimately, the Ottomans resorted to seeking the assistance of Muhammad Pasha Abu Maraq, a person with military experience, in this task. However, because the Ottomans did not realize his aspiration of being appointed governor of Syria, and also due to the intrigues of some governors against him, including the governors of Aleppo and Syria, Abu Maraq was slow to set out against the First Saudi State. In the end. Muhammad Pasha Abu Maraq was executed by decapitation and his body was displayed on one of the gates of Istanbul.

(قدم للنشر في ١٤٤٤/٢/٣هـ، وقبل للنشر في ١٤٤٤/٨/٢٢هـ)

قسم اللغات الشرقية - كلية الآداب - جامعة سوهاج

Department Languages Oriental - college of arts - sohage university

abobara86@gmail.com

ظهرت الدولة السعودية الأولى منذ بداية حكم الإمام محمد بن سعود في الدرعية عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م، وأصبحت الدرعية القاعدة الأولى لهذه الدولة الناشئة، وأصبح أمير الدرعية يلقب بعد ذلك بالإمام[١]. وكان إقليم نجد خارج نطاق نفوذ الحكم العثماني، لذلك لم تلتفت إليه الدولة العثمانية كثيرًا، ولم تبالِ بالدولة السعودية الأولى، مع معرفتها بتحركاتها ونشاطها في وقت مبكر من طريق رسائل الأشراف إلى الباب العالي[٢]، لكن لم يهتم رجال الدولة العثمانية بهذه الرسائل لسببين، الأول: كانوا يظنون أن هذه الدولة نشاط محدود فحسب داخل منطقة بعيدة عن مناطق نفوذ دولتهم، ولن تُسبِّب لهم مشكلة في المستقبل، أو تؤثر سلبيًّا في سير عملية الحج في الحجاز، وأن هذا الأمر لن يتعدى كونه خلافًا بين الأشراف والسعوديين، والآخر: فساد المؤسسة التعليمية في الدولة العثمانية، لذلك لم يفهم العلماء طبيعة الدعوة الإصلاحية أو حقيقتها.

كان التوسع السعودي في شبه الجزيرة العربية في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي مصدر تهديد للدولة العثمانية ومكانتها في العالم الإسلامي، لذلك بذلت جهدًا

(١) أبو علية، عبدالفتاح حسن، **محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ١١٥٧-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٤-١٨١٨م**، دار المريخ، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٢٢.

(٢) كان أول تقرير وصل إلى الدولة العثمانية عن الدولة السعودية الأولى سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م من طرف الشريف مسعود بن سعيد، أمير مكة المكرمة. عزي أفندي، سليمان، **تاريخ عزي**، إستانبول، ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م، ص٢٠٨.

كبيرًا في استعادة المكانة التي تدعم بها موقفها في البلاد العربية وتقوي نفوذها فيها، فراحت تبحث عن كل الوسائل الممكنة من أجل القضاء على الدولة السعودية الأولى، فكلَّفت والي بغداد سليمان باشا[٣] بالقضاء عليها، ولما أخفق كلف السلطان سليم الثالث (١٢٠٣-١٢٢٣هـ/ ١٧٨٦-١٨٠٧م) والي بغداد علي باشا[٤] بالقضاء عليها، فاحتجّ علي باشا بصعوبة تأمين المؤن والذخائر، فعزله السلطان سليم الثالث، وعيَّن يوسف باشا كنج[٥] واليًا على الشام، وكلفه بهذه المهمة، لكنه أخفق أيضًا في تحقيق مطالب الدولة، ويتبين من ذلك ضعف الإدارة في الدولة العثمانية في حكم ولاياتها البعيدة آنذاك.

رأت الحكومة العثمانية عند إخفاق ولاتها في تنفيذ أوامر الدولة في القضاء على الدولة السعودية الأولى أو عدم قدرتهم على مواجهتها أن تلجأ إلى المحاولات الدبلوماسية،

(٣) تولى سليمان باشا بغداد مدة ٢٣ سنة و٦ أشهر، وتوفي وعمره ٨٠ سنة، وتزوج إحدى بناته علي باشا خَلَفه في حكم بغداد. الشيخ رسول الكركوكلي، **دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء**، ترجمة: موسى كاظم نورس، دار الكاتب العربي، بيروت، د. ت، ص٢١٨.

(٤) تولى علي باشا بغداد في المدة من ١٢١٧-١٢٢٢هـ/ ١٨٠٣-١٨٠٧م، وهو من مماليك سليمان باشا سلفه في حكم بغداد. العزاوي، عباس، **تاريخ العراق بين احتلالين**، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ٦/١٧٩-١٨٠.

(٥) من عشيرة ميللي، نشأ عند الملا إسماعيل، رئيس عساكر الدُّلاة في الشام، وعُين متسلمًا على الشام، ثم واليًا عليها، وأميرًا للحج سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، تُوفي سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م. ثريا، محمد، **سجل عثماني ياخود تذكره مشاهير عثمانيه**، مج ٤، مطبعة عامرة، ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، ص٦٦٩.

التي قد تحقق فائدة؛ فكلفت أحد المدرسين المشهورين في إستانبول، وهو آدم أفندي بالذهاب إلى مكة المكرمة للتفاوض مع سعود بن عبدالعزيز[٦]، وهذا يدل على اعتراف الحكومة العثمانية بالدولة السعودية الأولى بوصفها قوة سياسية لها حضور في الحجاز، فوصل آدم أفندي والتقى بالإمام سعود في المحرم ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م في الطائف، واجتمع به خمس مرات في مدة إقامته بمكة، التي استمرت ثلاثة عشر يومًا[٧]، لكن محاولة آدم أفندي في الصلح مع الإمام سعود أخفقت كذلك كما أخفقت المحاولات العسكرية السابقة.

كلفت الدولة العثمانية أحمد باشا الجزار[٨]، وعيَّنته سَردارًا[٩] على الحجاز بعد إخفاق المحاولات العسكرية

(٦) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT. 93/3801-A، مرسل من الصدارة العظمى إلى والي جدة شريف باشا، د. ت.

(٧) قورشون، زكريا، **العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني ١٧٤٥-١٩١٤م**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص٦٦.

(٨) من البوسنة، خدم حكيم زاده علي باشا في مصر، وانتسب إلى عبدالله خادم علي بِكْ الكبير، ثم ذهب إلى الشام وحكم صيدا ثم الشام، توفي سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م. ثريا، **سجل عثماني**، ٢٧٧/١. وانظر ترجمته في: جودت باشا، أحمد، **تاريخ جودت از ترتيب جديد**، مطبعة عثمانية، إستانبول ١٣٠٣هـ، ٢٦٨/٧-٢٧٠؛ الجبرتي، عبدالرحمن، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق: عبدالرحيم عبدالرحمن، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٩٩٨م، ٥٠٨/٣-٥١٠؛ شهاب، حيدر أحمد، **تاريخ أحمد باشا الجزار**، نشر: الأب أنطونيوس شلبي، والأب أغناطيوس خليفة، مكتبة أنطوان، بيروت، ١٩٩٨م.

(٩) السَردار: لقب يطلق على قادة الجيش العثماني، ولحامله صلاحيات واسعة في الحرب. سعداوي، صالح، **مصطلحات التاريخ العثماني معجم موسوعي مصور**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٧٣هـ/ ٢٠١٦م، ٧١٧/٢.

والدبلوماسية، ومراوغة والي الشام يوسف باشا كنج، وطلبه كثيرًا من الأموال للإنفاق على حملة الحجاز، وإضافة يافا وغزة إلى نفوذه[١٠]، لكن الجزار كان قد كبر في السن، فلم يستطع الذهاب على رأس المحمل، ولم يكن هو الشخص القادر على مواجهة القوة السعودية التي اتسعت مناطق نفوذها، وقويت شوكتها. ويدل ذلك على ضعف السلاطين العثمانيين، وعدم سيطرتهم على الولاة التابعين لهم، وإخفاق أركان الدولة في اتخاذ القرارات السليمة[١١].

في هذه الأثناء ومع اضطراب الباب العالي في الحصول على نتيجة إيجابية من والي الشام أو والي بغداد، وتخبط مجلس شورى الدولة في اتخاذ قرار مناسب يخدم الدولة العثمانية، ويحقق لها ما تريد، ويمكِّنها من استخلاص الحرمين الشريفين من أيدي السعوديين، وفتح طريق الحج وتأمين الحجاج، برز محمد باشا أبو مرق، الذي اقترح على الحكومة العثمانية تسيير حملة على الدولة السعودية الأولى من غزة والقضاء عليها، وفتح طريق الحجاز أمام الحجاج،

(١٠) متولي، أحمد فؤاد، **آل سعود والشام في عهد الدولة السعودية الأولى على ضوء الوثائق التركية**، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٤٥.

(١١) كلَّفت الدولة العثمانية بعد ذلك صالح باشا، والي الشام بعد موت الجزار سنة ١٨٠٤م بتجريد حملة على الدولة السعودية الأولى، لم يكن فيها أفضل من سابقيه، فماطل الدولة كثيرًا، واكتفى بكتابة تقارير تُطمئن الدولة ورجالها من دون اتخاذ خطوة إيجابية في هذه المهمة، فعزله السلطان وعيَّن مكانه عبدالله باشا العظم، الذي لم يحقق أيضًا أي نتيجة مرجوة في هذا الأمر. متولي، **آل سعود والشام**، ص٥١-٥٤.

شريطة أن يعود إلى حكم معظم المدن المهمة في فلسطين مثل: يافا، وغزة، واللُّد، والرملة، وذلك قبل أن يطرده الجزار منها. وقبل الحديث عن حملة أبو مرق ينبغي التعريف به وبأحوال نشأته.

محمد باشا أبو مرق: نسبه وأحوال نشأته

أجمعت أغلب المصادر العربية المعاصرة لهذه المدة وغير المعاصرة أن محمد باشا أبو مرق عربي من غزة، ووالده علي أغا بن الحاج مصطفى بن شعبان، أصل أسرته من مدينة غزة[١٢]، وذكر عزت حسن أفندي الدارندلي[١٣] المعاصر لأبو مرق، الذي قابله في أثناء مجيئه غزةَ مع الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا[١٤] بأنه من أهل غزة، ومن

(١٢) الشهابي، حيدر أحمد، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**، تحقيق: أسد رستم، وفؤاد أفرام البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣م، ٣٣٨/٢. أبشور، أمل، **حملة بونابرت إلى الشرق**، مخطوطة نقولا الترك، دار جروس برس، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٢٧٠. مناع، عادل، **أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (١٨٠٠-١٩١٨م)**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، ط٢، ١٩٩٥م، ص٤٢-٤٥. المؤلف نفسه، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني (١٧٠٠-١٩١٨م)**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، ١٩٩٩م، ص٩٩-١٠١.

(١٣) مؤرخ عثماني في القرن الثامن عشر الميلادي، عاصر السلطان سليمًا الثالث، ورافق الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا في حملته على مصر لإخراج الفرنسيين منها، وترجمته في مقدمة ترجمة الكتاب. الدارندلي، عزت حسن أفندي، **الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني**، دراسة وترجمة: جمال سعيد عبدالغني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٤-١٧.

(١٤) صدر أعظم عثماني، عمل في وظيفة أمانة المعادن مدة طويلة، له جهود في القضاء على العصاة والأشقياء في أرضروم، وديار =

وجهائها وأشرافها[١٥]، وذكر صاحب تاريخ غزة أن جده الأكبر من الجراكسة الجاولية، مماليك الأمير سنجر الجاولي[١٦]، نائب غزة[١٧]. وتميل الدراسة إلى كونه من أصل عربي كما ذكره الجبرتي في تاريخه، إذ ذكر أنه في ١ من ربيع الأول ١٢١٦هـ/ ١٤ يوليو ١٨٠١م دخل محمد باشا أبو مرق الغزي مصر، وسكن ببيت الهياتم[١٨]، وذكرت المصادر العثمانية أن محمد باشا أبو مرق من أولاد العرب من أهالي غزة[١٩].

دخل والده علي أغا في خدمة آل مكي[٢٠]، حكام غزة

= بكر، والرَّقة، وسيواس، عُين في الصدارة سنة ١٧٩٨م، ثم ذهب إلى مصر لإخراج الفرنسيين، توفي سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١٢م. ثريا، **سجل عثماني**، ٤/٤٣٧.

Darendeli İzzet Hasan Efendi, Ziyânâme: *Sadrazam Yusuf Ziya Paşa'nın Napolyon'a Karşı Mısır Seferi: 1798-1802*, (haz. M. İlkin Erkutun), İstanbul 2009.

وللترجمة العربية انظر: الدارندلي، **الحملة الفرنسية**، ص٧٢-١٢٠.

(١٥) الدارندلي، **الحملة الفرنسية**، ص٢٦٦.

(١٦) سنجر الجاولي: ولد سنة ٦٥٣هـ، تولى نيابة غزة، له أوقاف كثيرة بغزة، والقدس، توفي سنة ٧٤٥هـ. الطباع، عثمان مصطفى، **إتحاف الأعزة في تاريخ غزة**، تحقيق: عبداللطيف زكي أبو هاشم، مكتبة اليازجي، غزة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ٤/٧٥-٧٦.

(١٧) المرجع السابق، ٤/١٨١ وما بعدها.

(١٨) الجبرتي، **تاريخ الجبرتي**، ٣/٣٠٠.

(١٩) جودت باشا، **تاريخ جودت**، ٧/١٢٧.

(٢٠) آل مكي: نسبة إلى محمد مكي أحد تجار غزة، وأسرة مكي من أسر غزة العريقة اليوم، وهي أولى الأسر الفلسطينية وثاني الأسر الشامية التي ظهر منها وزراء في هذه الديار، ومن أشهر رجالها في القرن ١٢هـ حسين باشا. الدّباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين**، الجزء الأول، القسم الثاني، دار الهدى، كفر قرع، فلسطين، ١٩٩١م، ص٨٦-٨٧.

في القرن الثامن عشر الميلادي، وتدرج في المناصب حتى أصبح شيخًا للمدينة سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٥٧م، وخدم هو وأبناؤه أحمد ومحمد الوزيرَ حسين باشا مكي حتى تاريخ وفاته سنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م. وتزوج علي أغا والد أبو مرق إحدى بنات الوزير حسين باشا، فورثه بعد وفاته، وبعد تعيين علي أغا قائمقام على القدس في أواخر القرن الثامن عشر توطد حكم آل مرق في القدس وغزة وازداد نفوذهم[٢١]، وكان علي أغا عاقلاً مدبرًا يحسن التقرب وتقديم الخدمات إلى الكبراء والوزراء، ولُقِّب بالشيخ علي أبو مرق كما جاء في حجة شرعية مؤرخة سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م[٢٢].

كان أبو مرق يتوق إلى حكم غزة، ويرجو من الدولة العثمانية بعد إخماد الاضطرابات التي قام بها محمد بِكْ أبو الدهب في فلسطين سنة ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م أن تعينه حاكمًا على غزة، لكن الدولة عينت حسن درويش متصرفًا عليها، فلم يفقد الأمل وسافر إلى إستانبول أكثر من مرة، وعلت رتبته ومكانته بعد ذلك، وحصل على لقب بِكْ، وعُين متصرفًا على غزة، والقدس، والخليل، والرملة، واللُّد، ويافا، وحصل على الباشوية، فتشوقت نفسه إلى حكم ولاية الشام[٢٣] لمنازعة أحمد باشا الجزار.

كانت المكانة التي وصلت إليها أسرة أبو مرق في غزة قد أزعجت أحمد باشا الجزار، الذي كان يطمح إلى بسط

(٢١) مناع، **أعلام فلسطين**، ص٤٢-٤٥، **تاريخ فلسطين**، ص٩٩-١٠١.
(٢٢) الطباع، **إتحاف الأعزة**، ١٨١/٤.
(٢٣) الطباع، **إتحاف الأعزة**، ١٨٢/٤.

نفوذه على غزة التي كانت ضمن مناطق نفوذه من قبل، وعندما عُين الجزار واليًا على دمشق، وصيدا في المدة من ١٢٠٥-١٢١٠هـ/ ١٧٩٠-١٧٩٥م ضيَّق الخناق على آل مرق لمعارضتهم توسعه ونفوذه، وبعد عزل الجزار من ولاية دمشق سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م أعدم السيد علي أغا متسلم غزة دون إذن السلطان(٢٤). وعندما عُين الجزار واليًا على الشام وأميرًا للحج قتل أخًا لأبو مرق ظلمًا، فلما بلغه خبر قتل أخيه خشي على نفسه وهرب إلى إستانبول، واشتكى من ظلم الجزار، وهناك انتسب إلى الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا، فأحبه وأكرمه؛ لأنه "صاحب تدبير جيد، ورأي صائب، وعقل واسع، وهمة عالية" على حد وصف حيدر الشهابي(٢٥).

مساعدات محمد باشا أبو مرق للصدر الأعظم في حملته على مصر:

عندما جاء الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا إلى مصر لمحاربة الفرنسيين عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٩م كان برفقته محمد باشا أبو مرق(٢٦)، وقد استعمله الصدر الأعظم في وظيفة أمانة الشعير(٢٧)، فأظهر كفاءة وتفانيًا في عمله، وأظهر

(٢٤) المرجع نفسه، ٢٩٣/١، ٣٥٧؛ الدّباغ، **بلادنا فلسطين**، ج١، ق٢، ص٩٣.

(٢٥) شهاب، **تاريخ الجزار**، ص٤٩٧.

(٢٦) جابي، عمر أفندي، **تاريخ سلطان سليم ثالث ومحمود ثاني (تاريخ جابي)**، مخطوط، مكتبة السليمانية، أسعد أفندي، رقم ٢١٥٢، ص٥٩.

(٢٧) أمين الشعير أو آرپه اميني: الشخص المكلف بتدبير كُلف الحيوانات من عشب، وشعير، وغيره، ويكون برفقة الجيش في الحروب لتوفير علف الحيوانات. سعداوي، **مصطلحات التاريخ العثماني**، ٣٥/١.

إخلاصًا في كل المهمات المتعلقة بإعداد ميرة الجيش وتعبئة اللازم من الجند، والأحوال الأخرى التي نالت رضا السلطان سليم الثالث[٢٨]، فعينه الصدر الأعظم وكيل خرج[٢٩]، وعندما دخل بالجيش العثماني الشام رقَّاه إلى رتبة مير ميران (أمير أمراء) وعينه قوناقجيًّا[٣٠]. ولمرافقة أبو مرق الصدر الأعظم في حملته على مصر، وتأمينه الذخائر والمؤن والمهمات اللازمة للجيش أحسن السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م) إليه برتبة الوزارة[٣١]، فمنحه الوزير الأعظم طوغًا (طوخًا) آخر، وعينه في وظيفة جرخه جي[٣٢].

---

(٢٨) الدارندلي، **الحملة الفرنسية**، ص٢٦٦.

(٢٩) وكيل خَرْج: تُطلق في الجيش العثماني على الشخص الموجود داخل أوجاق اليكيجرية (الإنكشارية)، ووظيفته توفير سبل الإعاشة للجنود، وتنظيم أمور المأكل. سعداوي، **مصطلحات التاريخ العثماني**، ١٣٨١/٣.

(٣٠) قوناقجي: الموظف المسؤول عن توفير الأماكن والمهمات قبل مجيء الحملة في أثناء السفر، وهو كذلك الضابط الذي يختار المكان المناسب لنزول العساكر في أثناء الحرب. سامي، شمس الدين، **قاموس تركي**، اقدام مطبعه سي، درسعادت، ١٣١٧هـ، ص١١١٥.
Mehmet Zeki Pakalın, *Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü*, Milli Eğütüm Bakanlığı Yayınları, İstanbul 1993, c.2, s.291.

(٣١) جابي، **تاريخ جابي**، ص٦٣ ب؛ والدارندلي، **الحملة الفرنسية**، ص٢٧٥.

(٣٢) جرخه جي: من يقوم بوظيفة الاستطلاع من القوات الأمامية التي تسير أمام الجيش، وهو من أفضل أفراد الجيش، وإذا كان عدد القوات خمسة آلاف يُطلق على رئيسهم جرخه جي باشي.
Mehmet Zeki Pakalın, *Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü*, c.1, s.326.

ولما عُين عبدالله باشا العظم[٣٣] واليًا على دمشق بعد عزل أحمد باشا الجزار سنة ١٧٩٩م عُين أبو مرق متسلمًا على القدس، وغزة، ويافا[٣٤]، وقد حصل أبو مرق على سنجق القدس مدى الحياة (مالكانه)[٣٥]، فعيَّن أبو مرق الذي كان بعيدًا من مكان متسلميته قاسم بِكْ وكيلاً عنه في إدارة شؤون لواء القدس[٣٦]. ويبدو من هذا التعيين أن الحكومة العثمانية أرادت التضييق على الجزار، وجعل أبو مرق ندًّا ومنافسًا له في المنطقة؛ لأن لواء القدس كان تابعًا لولاية عكا آنذاك.

(٣٣) هو ابن محمد باشا العظم، والعظم أسرة كبيرة في الشام، عُين واليًا على طرابلس الشام سنة ١١٩٨هـ، وحاز على رتبة الوزارة، وعين واليًا على الرَّقة سنة ١١٩٩هـ، ثم على ديار بكر، وعلى الشام سنة ١٢١٤هـ، توفي سنة ١٢٢٨هـ في حماة. ثريا، **سجل عثماني**، ٣٩٣/٣.

(٣٤) "حُكم إلى متصرف سنجق القدس الشريف الموجه إليه على سبيل (المالكانه) الحج السيد محمد باشا: بناء على صداقتك وغيرتك في خدمة الدولة العثمانية، وتوفير الجِمال والذخائر للعساكر السلطانية في صحراء يافا، وغزة، والعريشِ من قبل، وشجاعتك الكبيرة في الحرب التي وقعت مع الفرنسيين في صحراء قرية زواميل بجوار نابلس وتقديم مساعدات لسرعسكر مصر نِلتَ التوجه السلطاني، لذا أحسنتُ عليك بسنجق القدس الشريف مدى الحياة (مالكانه)". الأرشيف العثماني، دفتر مهمة رقم ٢١٣، حكم ٢١/ ص١٤، مرسل من السلطان سليم الثالث إلى متصرف القدس محمد باشا [أبو مرق] بتاريخ أوائل ذي القعدة ١٢١٦هـ.

(٣٥) مالكانه: هي الأراضي التي تُعطى على سبيل النفقة لأحد الأشخاص للاستفادة من إيراداتها طوال حياته بشرط عدم بيعها أو توريثها، أي يتصرف فيها بنفسه، أما ملكيتها فتعود إلى الدولة. سعداوي، **مصطلحات التاريخ العثماني**، ١٢١٩/٣.

(٣٦) مناع، **تاريخ فلسطين**، ص١٠١.

ظل أبو مرق مرافقًا للصدر الأعظم يوسف ضيا باشا في منطقة العريش سنة ١٨٠٠م، يقدِّم لجيشه الذخائر والمؤن اللازمة، فنال حظوة كبيرة عند الصدر الأعظم، ورأى فيه مرشحًا قويًّا لمنافسة الجزار والحد من نفوذه، بعد أن رفض الجزار تقديم المساعدات للصدر الأعظم[٣٧]؛ لأنه أنعم على الأمير بشير، وقربه منه على حساب الجزار[٣٨]. وعندما عاد الصدر الأعظم من مصر إلى غزة مهزومًا من الفرنسيين استقبله أحد أتباع أبو مرق، ووفر له المأكل والجياد اللازمة للجيش السلطاني، وأهدى الوزير وسائر رجال الدولة هدايا كثيرة، ثم اكترى أبو مرق الدواب من العربان بالقدر الذي يفي بحاجة الجيش السلطاني، ويعينه في حملته على مصر، وجمع من القدس، ونابلس، والخليل ثلاثة آلاف جندي من المشاة أرسلهم إلى الصدر الأعظم[٣٩]. وهكذا خدم أبو مرق الدولة العثمانية، وذلَّل الصعاب أمام الصدر الأعظم.

دخل الصدر الأعظم مصر مع العساكر العثمانية بعد خروج الفرنسيين منها، وكان معه أبو مرق[٤٠]، فاستعمله في تثبيت الأمن داخل الولاية، وإن كان أراد تعيينه واليًا على مصر[٤١]، فإن هذا التعيين واجه معارضة شديدة من المماليك

(37) Enver Ziya Karal, *Selim III.Ün Hattı-ı Humayunları*, Türk Tarih Kurumu Yayınları, Ankara 1942, s. 65.

(٣٨) القس حنانيا المنير، **الدر المرصوف في تاريخ الشوف**، دار الرائد اللبناني، بيروت، ١٩٨٤م، ص١٣٦.

(٣٩) الدارندلي، **الحملة الفرنسية**، ص٢٨٨، ٣٢٣.

(٤٠) جودت باشا، **تاريخ جودت**، ١٢٦/٧.

(٤١) ذكر الجبرتي في حوادث ١ من ربيع الأول سنة ١٢١٦هـ/ ١٤ يوليه =

وعساكر الترك؛ لأن أبو مرق من العرب، وهم لا يريدون أحدًا من العرب واليًا عليهم(٤٢). وذكر الدارندلي المعاصر لهذه الحادثة أنه بعد توجيه ولاية مصر إلى محمد باشا عُزل منها لعدم قدرته على ضبط الولاية، وعُين مكانه خسرو باشا(٤٣). لكن الحقيقة أن تعيين أبو مرق على مصر واجه معارضة شديدة من الترك الموجودين فيها لأنه من العرب، ومعارضة من الوزراء الموجودين مع الصدر الأعظم ورؤساء العساكر لكونه عربيًّا، و"مقامات العرب عند الترك مخفوضة، ورياتهم منقوصة" على حد قول الشهابي، فصدر قرار عزله في سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، وتعيين خسرو باشا مكانه(٤٤). وهناك سبب

= ١٨٠١م أن: "محمد باشا المعروف بأبي مرق الغزي هو المرشح لولاية مصر، وسكن ببيت الهياتم بالقرب من مشهد الأستاذ الحنفي". تاريخ الجبرتي، ٣/٣٠٠، وفي حوادث ١٢ من جمادى الأولى ١٢١٦هـ/ ٢٠ سبتمبر ١٨٠١ ذكر أنه: "ورد الخبر بتولية محمد باشا خسرو على مصر...، وأشيع عزل محمد باشا أبو مرق، وسفره إلى بلاده". تاريخ الجبرتي، ٣/٣١٥. وأشار نقولا الترك أيضًا إلى هذا التعيين: "وبعدما مهد الوزير [يوسف ضيا باشا] مصر أعطى ولايتها إلى محمد باشا أبو مرق، الذي كان عنده وكيل خرج، وهذا كان أصله من مدينة غزة". بشور، **حملة بونابرت**، ص٢٧١-٢٧٢. وقال محمد ثريا: "نال محمد باشا أبو مراق إعجاب يوسف ضيا باشا، فمنحه رتبة أمير أمراء، وعينه متصرفًا على حيفا، ثم منحه الوزارة في سنة ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م، وعينه واليًا على مصر سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م". سجل عثماني، ص٢٧٩.

(٤٢) العورة، إبراهيم، **تاريخ ولاية سليمان باشا العادل**، نشره وعلق عليه: الخوري قسطنطين المخلصي، مطبعة دير المخلص، لبنان، ١٩٣٦م، ص٧٧-٨٨، والشهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**، ٢/٣٦١، ٣٦٣.

(٤٣) الدارندلي، **الحملة الفرنسية**، ص٣٨٦.

(٤٤) الشهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**، ٢/٣٤٧.

آخر لم يذكره الدارندلي المعاصر والموجود في مصر لحظة هذا التعيين، وهو الخلاف الذي كان بين الصدر الأعظم وقبطان باشا الذي كانت له يد في تعيين خسرو باشا التابع له[٤٥]، ويتبين مما سبق كيف كان الولاة الأتراك ينظرون إلى العرب، ويتعاملون معهم في البلاد العربية.

عندما استدعت الحكومة العثمانية الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا من مصر مرَّ من فلسطين، وكان معه أبو مرق يرافقه في العودة، فعينه للمرة الثانية متصرفًا على ألوية غزة، والرملة، وجبل الخليل، ونابلس، ويافا، وسلمه كلَّ ما كان معه من الجبخانات[٤٦]، وترك عنده بعض العساكر، ووعده بإرسال عساكر له ضد الجزار بعد وصوله إستانبول[٤٧]، وإن كان الصدر الأعظم قد أراد تعيينه واليًا على الشام[٤٨]، وأميرًا للحج للتضييق على الجزار، فإن الجزار عندما سمع

(٤٥) كان سبب الخلاف تدخل قبطان باشا في شؤون مصر، وخصوصًا في مسألة المماليك ومراسلته سليمًا الثالث، وهو ما أغضب الصدر الأعظم، الوكيل المطلق للسلطان بمصر.
Enver Ziya Karal, *Selim III.Ün Hattı-ı Humayunları*, s. 147.

(٤٦) جبخانه: اسم يطلق على مكان حفظ الذخائر والعتاد العسكري. سعداوي، **مصطلحات التاريخ العثماني**، ٤٢٥/٢.

(٤٧) جودت باشا، **تاريخ جودت**، ١٣٧/٧؛ وشهاب، **تاريخ الجزار**، ص١٥٩، ٤٩٧.

(٤٨) قال حسن أغا العبد في حوادث ١٢١٧هـ: "ظهرت أخبار بأن عبدالله باشا العظم معزول من قبل الوزير [يوسف ضيا باشا]، ومنح ولاية الشام إلى محمد باشا أبي مرق، وتواترت الأخبار في الشام بذلك". العبد، حسن آغا، **تاريخ حسن آغا العبد (قطعة منه) حوادث سنة ١١٨٦ إلى سنة ١٢٤١هـ**، تحقيق: يوسف جميل نعيسة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٩م، ص٧١-٧٢.

بذلك، وأدرك أن هناك شخصًا آخر صاحب سلطة في بلاد الشام أسرع وحاصر أبو مرق في يافا، ومنعه من الخروج إلى دمشق لتسلم وظيفته الجديدة[٤٩]، فاضطرت الحكومة العثمانية إلى تعيين عبدالله باشا العظم واليًا على الشام لقرب موسم الحج، وعدم تنفيذ الجزار أوامر الدولة في فك الحصار والعودة بجيشه[٥٠].

كان أبو مرق لا يختلف كثيرًا في سياسته عن الجزار، فكان طموحًا يريد بسط نفوذه على أماكن عدة، فعندما شغل وظيفة متسلم غزة ويافا والقدس، ثار على الجزار ثم على سليمان باشا من بعده، وكان يعتمد على تأييد محمد علي باشا في مصر، فلجأ إليه عندما شدد الجزار عليه الحصار في يافا[٥١]، وهذا يدل على أن أبو مرق كان يسعى لتحقيق مصلحته الشخصية في المقام الأول، فكان يستعمل أسلوب الجزار نفسه في ظلم الأهالي وفرض ضرائب عليهم، وهو ما جعلهم يرسلون إلى والي مصر، وإلى رجال الدولة العثمانية، وإلى الجزار والي عكا يشتكون من ظلمه، فذكر الجبرتي في تاريخه في حوادث شهر المحرم ١٢١٧هـ/ مايو ١٨٠٢م وصول مكاتبات من أهل القدس ويافا والخليل يشكون ظلم أبو مرق[٥٢]. لكن الدولة

(٤٩) جودت باشا، **تاريخ جودت**، ١٣٨/٧؛ شهاب، **تاريخ الجزار**، ص١٨٧.

(٥٠) مناع، **تاريخ فلسطين**، ص١٠٢.

(٥١) رافق، عبدالكريم، **فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي إلى العام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م**، **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، المجلد الثاني، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص٨٥٥.

(٥٢) الجبرتي، **تاريخ الجبرتي**، ٣٥٠/٣.

العثمانية تغاضت عن هذا الأمر؛ لأنها كانت تريد الحد من سلطة الجزار المتزايدة، وتحقيق التوازن بين القوى المختلفة.

أرسل الباب العالي عدة فرمانات إلى والي الشام عبدالله باشا يطلب منه مساعدة أبو مرق المحاصر في يافا، وإلى والي دمشق أيضًا، وإلى رئيس عساكر الدليل (الدلاة)، وإلى قادة عساكر الفرسان والأرناؤوط (الألبان) والضباط وقادة عساكر المدفعية[٥٣]، وأرسل الباب العالي كذلك إلى والي مصر خسرو باشا بتاريخ ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م يأمره بسرعة إرسال الذخائر والعساكر إلى أبو مرق المحاصر في يافا، وأعلن أن الجزار عاصٍ يجب محاربته[٥٤].

كان الجزار في أثناء حصاره يافا يستخدم الدعاية التحريضية ضد أبو مرق، فحرَّض الأهالي على تقديم شكوى إلى الباب العالي ضده بأنه ينهب السكان ويبتز أموالهم، وبالفعل كتبوا عرائض ضد أبو مرق، وأرسلوها إلى الدولة العثمانية[٥٥]، وأرسل الجزار نفسه عريضة إلى الباب العالي ذكر فيها أن "متصرف القدس الشريف نهب طائفة العربان في نواحي غزة، وأغار عليهم، وهم من قديم الأزل طائعون

(٥٣) الأرشيف العثماني، تصنيف دفتر مهمة، رقم ٢١٣، حكم ٧٢/ ص٥٠، أوائل صفر سنة ١٢١٧هـ، حكم ٩٠/ ص٥٩، أواسط صفر ١٢١٧هـ/ ١٧ يونيو ١٨٠٢م. والوثائق منشورة في رسالة ماجستير باللغة التركية.
Fatih Akarsu, *213 Numaralı Mühimme Defterinin Transkripsiyon ve Değerlendirmesi 1801-1802/1215-1217*,Yüksek lisans tezi, Sakarya Üniversitesi, Mayıs 2006, s. 163, 167, 174, 188.

(٥٤) جودت باشا، **تاريخ جودت**، ١٣٨/٧.

(٥٥) مناع، **تاريخ فلسطين**، ص١٠٢.

لـي، وخـرَّب مقـام حضـرة خليـل الرحمن، وقطع الطريق المؤدي مـن غـزة إلـى القـدس الشـريف علـى الكفـار، وطلـب مـن الدولـة تعييـن أشـخاص صادقيـن، وأمنـاء فـي السـر والعلـن للوقـوف علـى الوضـع فـي هـذه المناطـق"[٥٦].

لم يقف أبو مرق مكتوف الأيدي أمام ما فعله الجزار تجاهه مـن تحريـض الأهالـي ضـده، واسـتكتابهم عرائـض وإرسـالها إلـى الدولـة، فاسـتخدم فرمانًـا قادمًـا إليـه مـن السـلطان سـليم الثالـث ضـد الجـزار فحـواه: "أن الحكومـة العثمانية قد غضبت علـى أحمـد باشـا الجـزار، وسـتخرجه من هـذه الديار، وسـترسـل العسـاكر الكثيـرة ضـده، وأن كل مـن يتبـع الجـزار سـيخرج مـن طاعـة الدولـة، ويجـب قتالـه بموجـب فتـوى شـريفة صـادرة مـن شيـخ الإسـلام"[٥٧]، وحث الأهالي على الوقوف بجواره، والتخلي عـن تأييـد الجـزار، لكنـه لـم ينجـح فـي جمـع الناس حولـه للظلم الواقـع منـه عليهـم، وللتحذيـرات التـي قـام بها الجـزار ضده.

وقـد ذكـر جـودت باشـا أن الحكومـة العثمانيـة أرسـلت إلـى أحمـد باشـا الجـزار تأمره بفك الحصار عن يافا، لكنه لم ينفذ أوامرهـا، بـل ضيـق الخنـاق على يافا من البر والبحر، فأرسـلت الحكومة العثمانية إلى محمد باشـا أبو مرق سـتمئة جندي من عسـاكر الأرناؤوط، فتشـجع أبو مرق للدفاع عن يافا، لكن عند عزله من منصب أمير الحج فترت همته[٥٨]، فسـقطت يافا في

(٥٦) الأرشـيف العثمانـي، تصنيـف HAT. 86/3645، مرسـلة مـن أحمـد باشـا الجـزار إلـى البـاب العالـي، د. ت.

(٥٧) الشهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**، ٢/٣٦١-٣٦٣.

(٥٨) جودت باشا، **تاريخ جودت**، ٧/١٣٧.

يد الجزار، فهرب أبو مرق إلى اللاذقية، ومنها إلى حلب[٥٩]. وذكر الجبرتي في حوادث ١٤ من شوال ١٢١٧هـ/ ٧ فبراير ١٨٠٣م أن أبو مرق هرب من يافا، واستولى الجزار عليها بعد حصار استمر عامًا أو أكثر[٦٠]، فدخل الجزار يافا وحكمها في أواخر ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، وصادر أموال أبو مرق[٦١].

مشروع حملة محمد باشا أبو مرق على الدولة السعودية الأولى:

بعد أن فر أبو مرق من يافا تنقل بين ديار بكر وحلب في المدة من ١٢١٨-١٢١٩هـ/ ١٨٠٣-١٨٠٤م، وكان والي حلب إبراهيم باشا (قطار أغاسي)[٦٢]، الذي تزوج محمد باشا ابنته من قبل، وعندما عُين إبراهيم باشا واليًا على دمشق ذهب محمد باشا معه، ولما تُوفي الجزار سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م وصل الاثنان إلى مشارف عكا لتخليصها وحكمها[٦٣]، وعين إبراهيم باشا أبو مرق على غزة ويافا، وأعطاه فرمان الولاية،

(٥٩) شهاب، **تاريخ الجزار**، ص١٦٣.
(٦٠) مناع، **أعلام فلسطين**، ص٤٣.
(٦١) سجل يافا، رقم ٢، ص٩٣، بتاريخ ١٧ من جمادى الآخرة، د. ت.
(٦٢) الحاج إبراهيم باشا، من ضواحي حلب، نشأ في الأندرون العثماني، واشتهر بإبراهيم قطار أغاسي، لأنه كان يعمل في وظيفة أغا العربات في موسم الحج، عُين محصِّل حلب، ثم واليًا على دمشق، ونال الوزارة وشارك مع يوسف ضيا باشا في حملته على مصر، توفي بعد عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م. ثريا، **سجل عثماني**، ١٤٩/١.
(٦٣) بعد وفاة أحمد باشا الجزار نشب صراع على الحكم بين الولاة لعدة أشهر حتى رجع سليمان باشا من الحج، ونجح مع قواته في التغلب على منافسيه، وعُين رسميًّا واليًا على ولاية صيدا. مناع، **تاريخ فلسطين**، ص١٠٣.

فأرسل أبو مرق بتاريخ ١٣ من جمادى الآخرة ١٢١٩هـ/ ١٩ سبتمبر ١٨٠٤م إلى نائب الشريعة بيافا وإلى العلماء، والمفتين، والقائمقام، ونقيب الأشراف، وغيرهم يخبرهم بأنه: "عُين على إيالة الحبش وجدة لتخليص بلاد الحجاز من السعوديين... وأنه بعد موت الجزار تحولت إيالة سنجق غزة وميناء يافا لحضرة الوزير إبراهيم باشا والي الشام وصيدا، ثم حوَّلهم الوزير إليه، وطلب منهم رعاية الفقراء والرعية، وضبط البلاد، وطلب منهم حفظ المواني والجمارك، ورعاية الأموال الميرية"(٦٤).

وقد تقلد أبو مرق وظيفته الجديدة بالفعل، وأرسل الأوامر إلى النواحي المختلفة، فأرسل أمرًا إلى مسؤول جمارك يافا الحاج محمد أغا يخبره بأن علمي زاده السيد محمد أفندي اشتكى له أن نيابة ميناء يافا خاصة به، وطلب منه أن يعامله معاملة حسنة، وحذَّره من مخالفة أمره، واختتم أبو مرق أمره بتوقيعه وهو: "السيد الحاج محمد شيخ الحرمين، ووالي جدة، ومتصرف غزة الحالي"(٦٥).

وأرسل أبو مرق سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م إلى نائب الشرع الشريف بمدينة نابلس والمفتي ونقيب الأشراف يخبرهم بتعيينه على مشيخة الحرمين الشريفين وإيالة الحبش وجدة، وعلى لواء غزة، وبوصوله دمشق، ثم توجهه إلى يافا، وطلب منهم توفير الذخائر والعليق للعساكر لمأموريته على

(٦٤) سجل يافا، رقم ٢، ص٨٣.

(٦٥) سجل يافا، رقم ٢، ص٨٤، بتاريخ ٦ من شوال ١٢١٩هـ/ ٨ يناير ١٨٠٥م.

الحجاز[٦٦]. لكن بعد ذلك عينت الحكومة العثمانية سليمان باشا بعد عودته من الحج واليًا على صيدا، وحرمت إبراهيم باشا من حكم البلاد، فبدأ أبو مرق يبحث عن وسيلة يتقرب بها إلى الدولة العثمانية، ويحصل منها على مزيد من الأموال، ويعود إلى سلطته السابقة، أو يحل محل الجزار في المنطقة.

كان السعوديون قد ضموا المدينة المنورة سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م بعد دخولهم مكة المكرمة سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، ومنعوا مجيء قوافل الحج بالمحمل والطبل؛ لأنها تخالف الشريعة الإسلامية، في المدة التي كان سليمان باشا مشغولاً فيها باستعادة عكا من إسماعيل باشا[٦٧]، الذي خرج من السجن، واستولى على ممتلكات الجزار[٦٨]، وتوطيد حكمه فيها، والقضاء على الاضطرابات والقلاقل في البلاد، التي كان فيها والي مصر محمد علي باشا يصارع المماليك، ويثبت

(٦٦) سجل نابلس، رقم ٦، ص٣٢٠-٣٢١، بتاريخ ٧ من ربيع الثاني ١٢١٩هـ/ ١٦ يوليو ١٨٠٤م.

(٦٧) إسماعيل باشا: أرناؤوطي الأصل، انتسب إلى والي مرعش مصطفى باشا، وفي ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م عُين واليًا على مرعش برتبة الوزارة، وحبسه الجزار لتواطئه مع أبو مرق. ثريا، **سجل عثماني**، ٣٧٥/١.

(٦٨) بعد وفاة الجزار أخرج الشيخ طه، وهو من أتباعه، إسماعيل باشا من سجنه، وسلمه جميع ممتلكات الجزار، وأعلن أن وصية الجزار تعيين إسماعيل باشا مكانه، فاستولى إسماعيل باشا على خزائن الجزار وجميع أمواله، وأعطى العساكر علوفات قدرها سبعة آلاف كيس، لكن الدولة العثمانية أمرت سليمان باشا بالقبض عليه، واسترداد أموال الجزار، وإرسالها إلى الدولة. جودت باشا، **تاريخ جودت**، ٢٢٨/٧.

أقدامه في الولاية، وكان فيها أيضًا ولاة العراق يُستبدلون كثيرًا ولا يستمرون في مناصبهم؛ فكانت الدولة العثمانية في أزمة حقيقية بصفتها حامية العالم الإسلامي والحرمين الشريفين، ومهمتها تأمين الأمن والأمان للحجاج، فأوقع هذا الوضع مجلس شورى الدولة في مأزق كبير، فبدؤوا يبحثون عن طريقة لتخليص الحجاز من أيدي السعوديين(٦٩).

في هذه الأثناء استغل أبو مرق فرصة انشغال الدولة العثمانية بمشكلاتها الداخلية، وحربها مع روسيا، فاقترح على السلطان العثماني سليم الثالث أن يقود حملة عسكرية على الدولة السعودية الأولى من غزة، يستعيد فيها بلاد الحجاز، ويخلصها من أيدي السعوديين، ويفتح طريق الحج، ولكنه اشترط أن يعود إليه حكم يافا، وغزة، ورملة، واللُّد، والقدس، وأن تُرسل له الدولة دعمًا ماديًّا قدره ألف وخمسمئة كيس للإنفاق على الحملة المزمع تجهيزها(٧٠). ويبدو أن أبو مرق كان هدفه الأساس هو الرجوع إلى حكم البلاد المذكورة، والحصول على أموال من الدولة لتدعيم سلطته في هذه البلاد، ولم تكن نيته قيادة الحملة.

---

(٦٩) **تاريخ جودت**، ٨/١٢٣-١٢٤،
Kamuran Şimşek, Mehmet Ali Paşa ve Vehhabiler, *Çağdaş Türkiye Tarihi Araştırmaları Dergisi*, XXI/42 (2021-Bahar/Spring), s.28.

(٧٠) مناع، **تاريخ فلسطين**، ص١٠٩. وجاء أن المبلغ سبعة آلاف وخمسمئة كيس، لكن ما ذُكر في الوثائق ألف وخمسمئة كيس أقجة. الأرشيف العثماني، تصنيف
HAT.101/4030, HAT.121/4959-A.HAT.101/4030-d. HAT. 108/4298-F.

وذكر جودت باشا معلومات مهمة عن تكليف أبو مرق بهذه الحملة، فقال: "اجتمع مجلس شورى الدولة لمناقشة مسألة الحجاز، والقضاء على الدولة السعودية الأولى، ورأوا أن المناسب توجيه إيالة جدة إلى محمد باشا أبو مرق - المعزول من ولاية سيواس، والمرفوع من الوزارة - وإرساله بقوة كافية إلى الحجاز لا تقل عن ثلاثة آلاف جندي، ومنحه ألف كيس أقجة من خزينة الجيب السلطاني والأوقاف، وخمسمئة كيس من خزينة الإيراد الجديد(٧١) نقدًا، وتحويل خمسمئة كيس أخرى له، وإرسال الأوامر اللازمة إلى والي الشام عبدالله باشا العظم لمساعدته في هذه الحملة، وإرسال أربع سفن خفيفة المؤونة بالمدافع إليه من دار السعادة"(٧٢). وذكر الجبرتي في حوادث ١٦ من ربيع الآخر ١٢١٩هـ/ ٢٥ يوليو ١٨٠٤م: "وفي يوم الثلاثاء قرؤوا الأوامر، وفيها أنه تعين محمد باشا أبو مرق بعساكر الشام إلى الحجاز"(٧٣).

(٧١) إيراد جديد خزينه سي (خزينة الإيراد الجديد): أُطلق هذا المصطلح على العائدات التي تُصرف على تشكيلات النظام الجديد. وقد أحدث السلطان سليم الثالث تغييرات في الجيش عرفت باسم (نظام جديد) بعد حدوث تجاوزات من الإنكشارية، فشكل خزينة جديدة مستقلة تنفق على هذا النظام عُرفت باسم (إيراد جديد خزينه سي)، قد تصل وارداتها السنوية إلى سبعين ألف كيسة ذهبية، وهي تساوي أربعة ملايين ونصفًا. وبعد وفاة السلطان سليم الثالث حُلَّ النظام الجديد، وأُلغيت خزينة الإيراد الجديد، ونُقل قسم من الواردات إلى خزينة الضربخانه التي هي جزء من الخزينة الداخلية.
Mehmed Zeki Pakalın, *Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü*, c.2 s. 79-80.

(٧٢) جودت باشا، **تاريخ جودت**، ٢٢٩/٧-٢٣٥.

(٧٣) الجبرتي، **تاريخ الجبرتي**، ٤٨٢/٣.

وذكر المؤرخ واصف أفندي (ت. ١٨٠٦م) المعاصر لهذه المدة معلومات مهمة أيضًا عن تكليف أبو مرق بالحملة، أن أهالي المدينة المنورة طلبوا إرسال عساكر وذخيرة إليهم، وبناءً على ذلك اجتمع مجلس الشورى في الباب العالي، وقرروا تعيين محمد باشا المرفوع من الوزارة والمقيم في توقاد على سنجق جدة، وإرسال العساكر والذخائر الكافية والمهمات إليه؛ لأنه هو القادر على جمع أعداد كبيرة من العساكر والمهمات الحربية لمعرفته الجيدة بنواحي الشام وغزة والقدس، وعلاقاته القريبة مع الأهالي هناك. كما أرسلت الدولة إلى والي مصر خورشيد باشا تطلب منه إرسال عدد من العساكر إلى ينبع مع أربعة مدافع خفيفة، ووجَّهته بمساعدة محمد باشا في حملته على الحجاز(٧٤).

وقد كتب السلطان سليم الثالث بخطه فوق وثيقة بتاريخ ٢٩ من ذي الحجة ١٢١٩هـ/ ٣١ مارس ١٨٠٥م عن هذا الأمر فقال: "وفقك الله تعالى يا وزيري، ولتعمل جاهدًا في هذا الأمر، وعلى محمد باشا أبو مرق أن يخرج من الشام قبل موسم الحج، ويبذل الجهد في مأموريته، وسوف أرسل من خزينتي الخاصة ألف كيسة إلى الضربخانه في خلال أيام"(٧٥). فأرسل أبو مرق رسالة شكر إلى السلطان سليم الثالث على تكليفه

(74) Hüseyin Sarıkaya, Ahmed Vasıf Efendi ve Mehasinül- Asar ve Haka,ikul-Ahbar,ı 1209- 1219/ 1794- 1805 (İnceleme ve Metin) yüksek lisans, Marmara Üniversitesi, İstanbul 2013, s. 858- 861.

(٧٥) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.92/3761، مرسلة من الصدر الأعظم إلى السلطان سليم الثالث، بتاريخ ٢٩ من ذي الحجة ١٢١٩هـ.

بالحملة: "أعرب فيها عن سعادته بخدمة الدين والدولة، وشكر السلطان على توجيه سنجق جدة إليه، وأنه سيبذل جهده في الحملة، وأنه سوف يتحرك في يوم الاثنين ١٥ من ربيع الآخر ١٢٢٠هـ/ ١٣ يوليو ١٨٠٥م من محل إقامته في توقاد، ويمر من ألبستان، ومرعش، حتى يصل إلى نواحي بلاد العرب"، وأنه سيسعى إلى إعادة الحجاز من السعوديين، كما أشار إلى أن قوته تزيد على ثلاثة آلاف من الفرسان الشجعان(٧٦)، وأعرب في وثيقة أخرى عن سعادته بخدمة الدين والدولة، وأنه سيقوم بتأمين البقسماط، والشعير، وطلمبات المياه، والخيام، والمهمات اللازمة من غزة، وطلب مساعدة عبدالله باشا العظم، والي الشام وأمير الحج في تأمين الجِمال، وطلب إرسال ألف وخمسمئة كيس أقجة نقدًا من الدولة(٧٧).

كانت مسألة القضاء على الدولة السعودية الأولى تمثل أهمية كبيرة للدولة العثمانية، فالمحاولات السابقة لم تسفر عن نتيجة إيجابية، والسعوديون يزدادون قوة يومًا بعد يوم، وتوسّعهم في المناطق التابعة للدولة العثمانية مستمر، إضافة إلى ضمهم مكة المكرمة والمدينة المنورة بدؤوا يحاصرون جدة(٧٨)، وكان الشريف غالب آنذاك في وضع سيئ لا يمكنه

(٧٦) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.92/3769، مرسلة من محمد باشا أبو مرق إلى السلطان سليم الثالث، بتاريخ ٧ من ربيع الثاني ١٢١٩هـ. وأعلى الوثيقة خط السلطان بالحث على تنفيذ المهمة.

(٧٧) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.109/4320-A، مرسلة من محمد باشا أبو مرق إلى الباب العالي، بتاريخ ٣ من رمضان ١٢١٩هـ.

(٧٨) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.92/3777- D، مرسلة من والي =

مواجهتهم، وولاية مصر مضطربة لا يمكنها تقديم أي مساعدات للصراع بين خورشيد باشا ومحمد علي باشا على حكمها، وكان ضعف مؤسسات الدولة وتشكيلاتها وانشغالها في حروبها الأوربية، وحركات العصيان في البلقان، والصراع على النفوذ بين رجال الدولة وولاتها جعلها تقبل مضطرة اقتراح أبو مرق، لكن هل كان أبو مرق جادًّا في اقتراحه؟ أم أنها محاولة للإفادة من أوضاع الدولة المضطربة في تحقيق طموحاته الخاصة، وطلبه الدعم المالي بحجة القيام بالحملة، وهو في الأصل يريد تحقيق هدفه في التمكين لنفسه في بلاد الشام وملء الفراغ الذي تركه الجزار.

بذلت الدولة العثمانية جهدًا كبيرًا في مساعدة أبو مرق في حملته على الدولة السعودية الأولى، فعينته واليًا على الحبش وجدة، مع مشيخة الحرم المكي لتسهيل مهمته في حرب السعوديين(٧٩)، وأرسلت إليه ألفًا وخمسمئة كيس أقجة مع الحاج مصطفى أفندي، التشريفاتي السابق في الدولة العثمانية(٨٠)، وأرسلت كذلك إلى تيمور باشا والي الرَّقة تطلب منه مساعدة أبو مرق والي ديار بكر السابق في حربه ضد الدولة السعودية الأولى(٨١).

= بغداد علي باشا إلى الباب العالي بتاريخ ١٥ من جمادى الآخرة سنة ١٢١٨هـ.

(٧٩) مناع، **تاريخ فلسطين**، ص١١٠.

(٨٠) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.101/4030-d، تقرير مرسل من الحاج مصطفى إلى الباب العالي، بتاريخ ٥ من صفر ١٢٢٠هـ.

(٨١) الأرشيف العثماني، تصنيف دفتر مهمة، رقم ٢١٩، حكم ١٢٢/ =

ثم أرسل الباب العالي رسالة أخرى إلى إبراهيم باشا والي الشام وصيدا تطلب منه تأمين البقسماط، والدقيق، وسائر الذخائر والمهمات الحربية اللازمة، والجِمال، وإرسالها إلى الوزير محمد باشا والي جدة الحالي، الذي خرج من طريق الشام بثلاثة آلاف نفر(٨٢)، وبعد ذلك أرسلت الدولة رسالة إلى خورشيد أحمد باشا والي مصر آنذاك تطلب منه إرسال الذخائر اللازمة وإرسال خمسمئة عسكري من عساكر ترك أوشاغي(٨٣) من مصر إلى ينبع، لمساعدة الوزير محمد باشا والي جدة، الذي تحرك من الشام(٨٤). لكن إبراهيم باشا والي الشام أرسل رسالة إلى الباب العالي بتاريخ ٥ من شوال ١٢١٩هـ/ ٧ يناير ١٨٠٥م ذكر فيها أن: "محمد باشا أبو مرق تحرك من مدينة توقاد، وأنه سيتوجه إلى مأموريته، وأنه قابله في مدينة جنين، وأعرب عن سعادته بخدمة الدولة العلية، وأنه بدأ في الاستعدادات بتوفير المؤن واستئجار

= ص٢٨، مرسل من الباب العالي إلى والي الرقة تيمور باشا بتاريخ أوائل رجب سنة ١٢١٨هـ.

(٨٢) الأرشيف العثماني، تصنيف دفتر مهمة مصر، رقم ١١، حكم ٤٦٠/ ص١٥٨، مرسل من الباب العالي إلى والي الشام إبراهيم باشا بتاريخ أواخر جمادى الأولى سنة ١٢١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.102/4043-F، بتاريخ ٢٥ من جمادى الأولى سنة ١٢١٩هـ.

(٨٣) فرقة من العساكر العثمانية كانت في مصر بعد خروج الحملة الفرنسية منها إلى جانب عساكر الأرناؤوط والسكبان، وكان لها أثر في تعيين محمد علي باشا على ولاية مصر. الباحث.

(٨٤) الأرشيف العثماني، تصنيف دفتر مهمة مصر، رقم ١١، حكم ٤٦٣/ ص١٥٩، مرسل من الباب العالي إلى والي مصر خورشيد أحمد باشا بتاريخ أواخر جمادى الأولى سنة ١٢١٩هـ.

الجِمال، لكن من الصعب إرسال أموال إليه من تركة الجزار باشَا لاستيلاء إسماعيل باشا عليها، وأن هناك صعوبات في توفير جمال من الشام، وأن سعر إيجار الجمل مئة قرش لكل جمل، وعربان عنزة لا تؤجر جمالها لنا"[٨٥]. وهكذا أعرب إبراهيم باشا والي الشام عن عدم قدرته في مساعدة أبو مرق، ولم يكن حال خورشيد باشا في مصر بأحسن من حال إبراهيم باشا، فقد كان يتصارع مع محمد علي باشا على حكم الولاية، وانتهى الحال بعزله[٨٦]، وإخراجه من مصر إلى ولاية سلانيك.

موقف محمد باشا أبو مرق من الحملة:

لم تتوانَ الحكومة العثمانية في تقديم الدعم لأبو مرق في حملته على الدولة السعودية الأولى، فقد أرسلت إليه عبر الجوقدار حسين أغا المهمات اللازمة إلى يافا بتاريخ ٥ من رمضان ١٢١٩هـ/ ٨ ديسمبر ١٨٠٤م[٨٧]، وأرسلت مصطفى أفندي بمأمورية إلى يافا لمنحه ألفًا وخمسمئة كيس أقجة عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م، لكن أبو مرق ذهب إلى غزة، وتظاهر بالإعداد للحملة العسكرية التي وعد الدولة بتجهيزها لاستعادة الحجاز من أيدي السعوديين. وعندما ذهب إلى

(٨٥) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.4328-D، مرسلة من والي الشام إبراهيم باشا إلى الباب العالي، بتاريخ ٥ من شوال ١٢١٩هـ.

(٨٦) الأرشيف العثماني، تصنيف دفتر مهمة مصر، رقم ١٢، حكم ١٤/ ص٩، أواخر جمادى الأولى سنة ١٢٢٠هـ؛ الجبرتي، **تاريخ الجبرتي**، ٥٣٢/٣.

(٨٧) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.120/4893-A، بتاريخ ٥ من رمضان ١٢١٩هـ.

غزة بدأ بجمع أمواله التي تركها من قبل، وكان الجزار قد صادرها منه، ففرض ضرائب على الأهالي بحجة التجهيز للحملة[٨٨]، ومن جانب آخر كانت الحكومة العثمانية ترسل إليه الفرمانات والأوامر تحثه على ضرورة الإسراع في تنفيذ المهمة التي وعد بها، فأخذ يماطل ويَعِد بقرب خروجه بالحملة، لكن في قرارة نفسه لم يكن ينوي القيام بما وعد.

كانت الحكومة العثمانية على علم أن أبو مرق يتكاسل عن الحملة، فقد وصلت الباب العالي رسالة بتاريخ ٩ من ذي القعدة سنة ١٢١٩هـ/ ٩ فبراير ١٨٠٥م أن أبو مرق يحاول استمالة والي الشام يوسف كنج إلى صفه، وأنه أعطى رئيس عساكر الدلاة خمسة عشر ألف قرش للوقوف معه في حالة احتياجه، وجمع العربان حوله، وأعلن أنه سيحاصر القدس بدلاً من الذهاب إلى مأموريته في الحجاز[٨٩]. وهكذا كان موقف محمد باشا من الحملة واضحًا منذ البداية، وهو استغلال أموال الدولة في تقوية مناطق نفوذه، والتطلع إلى حكم ولاية الشام، وملء الفراغ الذي تركه الجزار.

وثمة تقريران في الأرشيف العثماني يوضحان بجلاء موقف أبو مرق من الحملة، الأول: تقرير الجوقدار أفندي، الذي كتبه بعد أربعين يومًا من عودته من يافا بتاريخ ٥ من رمضان ١٢١٩هـ/ ٨ ديسمبر ١٨٠٤م، والثاني: تقرير كتبه الحاج مصطفى أفندي المرسل لتسليم الخزينة إليه، كتبه

(٨٨) مناع، **تاريخ فلسطين**، ص١١٠.

(٨٩) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.108/4298-C، بتاريخ ٩ من ذي القعدة ١٢١٩هـ.

بعد عودته من يافا بتاريخ ٥ من صفر ١٢٢٠هـ/ ٥ مايو ١٨٠٥م. جاء في التقرير الأول أن: "محمد باشا أبو مرق سعى في تجهيز الجِمال والمهمات الحربية والمياه والبقسماط، ويوجد معه قرابة خمسة إلى ستة آلاف جندي، وأنه تحرك من يافا قبل تحرك الحجاج المسلمين من الشام، وعزم على التوجه إلى مأموريته، ومعه مصطفى أفندي المرسل من الدولة العلية"(٩٠). وقد عاد الجوقدار إلى الدولة العثمانية بتاريخ ٥ من رمضان ١٢١٩هـ/ ٨ ديسمبر ١٨٠٤م(٩١). ويدل هذا التقرير على أن أبو مرق قد تظاهر في البدء بالتجهيز للحملة، لكن ما الذي حدث بعد ذلك؟

وجاء التقرير الثاني أكثر تفصيلاً، فمصطفى أفندي التقى بأبو مرق، وتحدث معه عن قرب وعرف نيته، وشاهد التجهيزات في يافا وعدد القوات الموجودة معه، فيقول في تقريره: "عندما وصلت جدة كان أبو مرق قد أرسل تابعه فأخذ الأقجة مني، وذهبت إلى يافا وقابلته، وقال إنه سيذهب إلى الحملة، وبدأ في صنع البقسماط لعدة أيام وتوفير الذخيرة والجمال، وقال إنه سيستأجر جمالاً من مشايخ العربان، وإن كان قد أعطاهم الأقجة أمام أعيننا فإنه استردها منهم سرًّا، وكان ذا عقل شيطاني يختلق الحجج والأكاذيب، وعندما وصله خبر أن والي الشام تحرك من مزيرب أعلن صراحة أنه لن

(٩٠) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.120/4893، تقرير الجوقدار أفندي إلى الباب العالي، بتاريخ ١٢١٩هـ.

(٩١) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.120/4893-A، تقرير الجوقدار أفندي إلى الباب العالي، بتاريخ ٥ من رمضان ١٢١٩هـ.

يذهب للحملة، وقال إنه طلب ألف أقجة أخرى من الدولة، ولم ترسلها إليَّ، فأنا لن أذهب، وليس لدي جِمال أو ذخيرة، ونصحناه كثيرًا لكنه لم يستمع النصح، وقال إن ذهبت بحرًا سوف تقابلني العساكر التابعة لي في السويس، وتطلب مني العلوفة المتراكمة عليَّ، وكان يريد تعيينه على ولاية الشام أو يستولي عليها بمساعدة كنج يوسف، وإسماعيل باشا. وانشغل أبو مرق في يافا ليل نهار بتعمير الأماكن المنهدمة، ولخوفه من الدولة وبطشها كان يُحصِّن القلعة، وطرد عساكر سليمان باشا، وكان يريد بقاء إسماعيل باشا في عكا ليعاونه في الاستيلاء على الشام، لكن بعد القبض على إسماعيل باشا وقتله أُسقط في يده. وكان في يافا عشرة مدافع سريعة وعشرون نفرًا من الطوبجية والعربجية، وأكثر من ستين قنطار بارود، لكن لا توجد جبخانه، ولا يمكن توفير بارود من الأماكن المجاورة، والأهالي لن تساعده، وبخاصة أهالي القدس وجرار أوغلى للعداء الموجود بينهم، وليس معه عساكر شجاعة، وإنما معه بعض الفلاحين، الذين لا ذخيرة معهم ولا مال، وأنه أرسل عساكره لضرب قرى القدس، فلديه مهارة في نشر الفتن والفساد". وفي نهاية التقرير طلب مصطفى أفندي من الدولة تكليف سليمان باشا، وراغب باشا بعد الانتهاء من مأمورية عكا للقضاء على أبو مرق، وإرسال أوامر إلى طوقان أوغلى وغيره بالقبض عليه[٩٢]. وعندما أرسلت

(٩٢) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.101/4030-D، تقرير مرسل من الحاج مصطفى أفندي إلى الباب العالي، بتاريخ ٥ من صفر ١٢٢٠هـ.

الدولة استفسارًا إلى سليمان باشا والي الشام وراغب أفندي، قالا: "إن محمد باشا أبو مرق لا ينوي الذهاب إلى مأموريته، وأنه لم يتخذ تدابير بشأن الحملة، وأن طبعه المكر والخداع والتحرك بما يخالف الدولة"(٩٣).

يتبين مما سبق أن أبو مرق كان همه الوحيد الرجوع إلى حكم البلاد السابقة التي كانت تحت سيطرته، وتقويتها وتحصينها، فطلب أموالاً من الدولة بحجة تجريد حملة لصرفها على تقوية يافا وتحصينها، ثم التنسيق مع إسماعيل باشا في الاستيلاء على الشام أو تعيينه واليًا عليها. لكن بعد قتل إسماعيل باشا سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م، واسترداد عكا، وتعيين إبراهيم باشا واليًا عليها، بدأ أبو مرق يبحث عن حجج جديدة تدعم موقفه، وتوضح سبب تكاسله عن القيام بالحملة، فأرسل إلى الدولة بتاريخ ٣ من رمضان ١٢١٩هـ/ ٦ ديسمبر ١٨٠٤م يخبرها أن ولاية عكا في اضطراب، ولا يمكنها إرسال أموال إليه، وطلب منها تخفيض عدد الجمال المطلوبة من (٦٦٧٥) جملاً إلى (٢٦٧٥) جملاً لتعذر الحصول على العدد الأول(٩٤).

وذكر في رسالة أخرى بالتاريخ نفسه أن إبراهيم باشا والي الشام لم يرسل له أي شيء من تركة الجزار باشا، واعتذر

(٩٣) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.101/4034، مرسلة من سليمان باشا وراغب أفندي إلى الباب العالي، بتاريخ ١٩ من ربيع الأول ١٢٢٠هـ.

(٩٤) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.109/4328-A، مرسل من محمد باشا أبو مرق إلى الباب العالي، بتاريخ ٣ من رمضان ١٢١٩هـ.

عن إرسال الجِمال إليه من الشام، واكتفى بإرسال ألفَي قرش فقط[٩٥]، وذكر في وثيقة أخرى أنه مضطرب الحال، ويحتاج إلى أموال كثيرة، وأنه اقترض مبالغ كبيرة من الروم والأرمن في القدس الشريف بلغت خمسمئة كيس أقجة[٩٦]. وهكذا كان أبو مرق يماطل الدولة العثمانية، وليس في نيته الخروج بحملة إلى الحجاز.

أرسل السلطان سليم الثالث عدة مرات رسائل إلى أبو مرق يأمره بتنفيذ ما وعد به، والخروج بالحملة إلى الحجاز، لكن أبو مرق كان يماطل الدولة، ويظلم الأهالي بكثرة فرض الضرائب، وقطع طريق الحجاج النصارى القادمين إلى القدس، وفرض عليهم ضرائب باهظة[٩٧]، فقدموا شكوى ضده إلى سليمان باشا، وطلبوا المساعدة منه، فنصحه سليمان باشا بكف الأذى عن الأهالي فلم ينتصح، وتمادى في ظلمه، فأخبر الباب العالي بذلك، فأرسلت الدولة إليه تأمره بالكف عن ظلم الأهالي، والخروج بالحملة إلى الحجاز.

---

(٩٥) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.109/4328-C، مرسل من محمد باشا أبو مرق إلى الباب العالي، بتاريخ ٣ من رمضان ١٢١٩هـ.

(٩٦) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.109/4328-B، مرسل من محمد باشا أبو مرق إلى الباب العالي، بتاريخ ٣ من رمضان ١٢١٩هـ.

(٩٧) قطع طريق حجاج النصارى إلى القدس، واستعمل قصارى جهده لإيقاع الضرر بالزوار النصارى الذين كانوا يحضرون إلى القدس من سائر البلاد، وضيق عليهم طريق رام الله، ورتب عليهم حوادث شاقة، عدا التسلط عليهم. العورة، **تاريخ ولاية سليمان باشا**، ص٨١-٨٢.

بدأ أبو مرق في تحصين يافا وتقويتها خوفًا من إرسال الدولة العثمانية قوة لمحاربته، فأدى هذا إلى فرض مزيد من الضرائب على الأهالي، والتعدي على القرى المجاورة في القدس الشريف، وعندما لم ينتصح بكلام سليمان باشا اجتمع متسلم القدس يحيى أفندي ومفتي القدس حسن أفندي، وأرسلا رسالة إلى الصدر الأعظم بتاريخ ٢٣ من شوال ١٢١٩هـ/ ٢٥ يناير ١٨٠٥م جاء فيها: "لقد وقع الأهالي في القدس في كرب شديد، وحدث خلل واضطراب، ونرجو من السلطان عمل ما فيه النجاة والصلاح لنا"(٩٨). وأرسل أهالي القدس الشريف محضرًا بالتاريخ نفسه يحمل توقيعات أغلبيتهم، ذكروا فيه أن: "محمد باشا والي جدة عدل عن التوجه إلى الحجاز، وجمع في الرملة فلاحين وغيرهم، وأرسل عساكر ومدافع إلى القرى المجاورة ناحية القدس الشريف، بحجة أن القدس أخذها مالكانه له، فاضطرب الناس من ذلك، وطلبوا الحماية من الدولة العلية"(٩٩). وأرسل حسن باشا زاده السيد أحمد القاضي بالقدس الشريف رسالة إلى الحكومة العثمانية يشكو فيها ظلم أبو مرق الرعايا، وانقطاعهم عن العمل خوفًا من بطشه(١٠٠).

(٩٨) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.108/4298-F، مرسلة من يحيى متسلم القدس وحسن مفتي القدس إلى الصدر الأعظم، بتاريخ ٢٣ من شوال ١٢١٩هـ.

(٩٩) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.108/4298-A، محضر أهالي القدس الشريف إلى الصدر الأعظم، بتاريخ ٢٣ من شوال ١٢١٩هـ.

(١٠٠) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.93/3794-A، مرسلة من حسن باشا زاده السيد أحمد القاضي بالقدس الشريف إلى السلطان =

وعندما دخل أبو مرق يافا بَدَّد الذخائر والمهمات المحفوظة فيها، وأعدم اثنين من الأهالي المخالفين له، فخافه الناس، وأكثر من جمع العساكر المغاربة، وحاول الاتفاق مع شيوخ نابلس مثل برقاوي يوسف، وعبدالهادي، وطوقان زاده محمد بِكْ، وكان ينشر بين الناس أنه سيحصل على ولاية الشام، ولن يرسل أموال الدولة، وكان يحصِّن القلعة خوفًا من غضب الدولة عليه، وكان من الصعب ذهابه إلى الحجاز، وكان يقول "أنا سأحصل على الحجاز أو مصر"[١٠١].

وهكذا عندما كثرت التقارير والمحاضر المرسلة إلى الدولة العثمانية في المدة من ١٢١٩-١٢٢٠هـ/ ١٨٠٤-١٨٠٥م أن أبو مرق لا ينوي القيام بالحملة، وأنه خدع الحكومة العثمانية، وحصل منها على أموال كثيرة من دون تحقيق شيء، وظلم الأهالي بفرض الضرائب عليهم، والتعدي على القرى المجاورة للقدس الشريف، وأنه جمع الفلاحين حوله، وبدأ ينشر الشائعات أن الدولة ستوليه على الشام، وأعطته القدس مالكانه له، أرسل الباب العالي إلى سليمان باشا والي الشام بقطع رأس أبو مرق، وتحصيل أموال الدولة منه[١٠٢].

= العثماني، بتاريخ ٢٥ من رجب ١٢٢٠هـ. ومن مظالم أبو مرق في القدس التضييق على الأهالي وأبناء السبيل، ونشر الفوضى في القدس، وتعطيل عطايا الفقراء من أرز، وشعير، ومهمات، ولوازم، وإغلاق عمارة السلطان سليمان القانوني وزوجته خاصكي سلطان في القدس، وحرمان الفقراء من الأوقاف.

(١٠١) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.121/4959-A، بتاريخ ١٥ من المحرم ١٢٢٠هـ.

(١٠٢) العورة، **تاريخ ولاية سليمان باشا**، ص٨٢.

قتل محمد باشا أبو مرق ومصادرة أمواله:

كلفت الدولة العثمانية والي الشام سليمان باشا العادل عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م بالقبض على أبو مرق، وقطع رأسه ومصادرة أمواله، وإرسالها للدولة، وتحصيل مبلغ ألف وخمسمئة كيس التي أخذها من الدولة سابقًا للقيام بالحملة[١٠٣]، وأرسلت في التاريخ نفسه إلى كلٍّ من قاضي الشام ومتسلمها، وضابط اليكيجرية (الإنكشارية) في الشام، وجميع ضباط الشام، ووجوه الولاية بضرورة القبض على أبو مرق الخائن، ومساعدة سليمان باشا في التضييق عليه، وقتله فور وصوله الشام، وإرسال رأسه إلى الدولة العثمانية[١٠٤].

وذكرت أغلب الوثائق العثمانية في المدة من أواخر عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م إلى أوائل عام ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م موضوع قتل أبو مرق ومصادرة أمواله، وتحصيل أموال الدولة منه، وإرسال رأسه إلى إستانبول بعد خيانته وعدم قيامه بالحملة، فقد عرض الصدر الأعظم على السلطان وفقًا لما جاء به راغب أفندي - راغب باشا فيما بعد - أن أبو مرق لن يقوم بالحملة، ولن يرسل أموال الدولة التي أخذها، لذا يجب قتله وجعله عبرة لغيره، وخوفًا من انتشار الاضطرابات في

(١٠٣) الأرشيف العثماني، تصنيف C.DH.163/8110، مرسلة من الباب العالي إلى والي صيدا سليمان باشا بشأن حصار أبو مرق في يافا، وقطع رأسه وإرساله إلى الباب العالي، بتاريخ أواخر شوال ١٢٢٠هـ.

(١٠٤) الأرشيف العثماني، تصنيف C.DH.125/6243، مرسلة من الباب العالي إلى قاضي الشام ومتسلمها وضابط اليكيجرية في الشام وجميع ضباط الشام ووجوه الولاية، بتاريخ أواخر شوال ١٢٢٠هـ.

الشام وغيرها طلب الصدر الأعظم قتله بالحيلة، وتفويض هذا الأمر إلى سليمان باشا والي عكا وراغب أفندي[١٠٥]، فأرسل راغب أفندي، وسليمان باشا بتاريخ ١٩ من ربيع الأول ١٢٢٠هـ/ ١٧ يوليو ١٨٠٥م رسالة ذكرا فيها رغبتهما في قتل أبو مرق بالحيلة، واسترداد أموال الدولة منه[١٠٦]. ويبدو لي أن إصرار والي الشام سليمان باشا وراغب أفندي على طلب قتل أبو مرق، وتشجيعهما الباب العالي على ذلك كان خوفًا من أن يشاركهما النفوذ في بلاد الشام إن بقي حيًّا.

كان القبطان باشا[١٠٧] في هذه المدة على علاقة طيبة مع إسماعيل باشا المقتول ومحمد باشا أبو مرق، وكان أبو مرق يتراسل معه بشأن الحصول على تركة الجزار والتنسيق بشأن فتح عكا، لذلك أرسل القبطان باشا في البداية رسالة إلى الباب العالي ذكر فيها أن أبو مرق بالفعل لم يستعد للحملة، وأنه يتحجج بأعذار واهية، لكنه يطمع في شفاعة الدولة وعطفها، وطلب القبطان باشا من الباب العالي الصفح عنه إذا امتنع عن محاربة عساكر الدولة المرسلة إليه من عكا[١٠٨].

---

(١٠٥) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.101/4030، مرسلة من الصدر الأعظم إلى السلطان، بتاريخ ٥ من صفر ١٢٢٠هـ.

(١٠٦) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.101/4034، مرسلة من راغب أفندي وسليمان باشا إلى الباب العالي، بتاريخ ١٩ من ربيع الأول ١٢٢٠هـ.

(١٠٧) قبطان باشا: لقب يحمله أكبر قائد عسكري وإداري على رأس القوات البحرية والأسطول في الدولة العثمانية. سعداوي، **معجم المصطلحات العثمانية**، ٣/١٠٧٢-١٠٧٣.

(١٠٨) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.102/4039، مرسلة من القبطان باشا إلى الباب العالي، بتاريخ ٢١ من جمادى الآخرة ١٢٢٠هـ. وجاء =

كان القبطان باشا يقف إلى جوار أبو مرق في البداية، فقد كان متورطًا معه كما ذكرت الوثيقة بتاريخ ٢٩ من ذي الحجة ١٢١٩هـ/ ٣١ مارس ١٨٠٥م بأن "أبو مرق يستخدم الحيل الشيطانية والمكر، وخان الدولة مع القبطان باشا"(١٠٩)، وقد شحن القبطان باشا الذخائر المرسلة إلى عكا إلى أبو مرق في يافا، وزوَّر الأوامر القادمة من الدولة للوقوف معه(١١٠). وعندما اتضح للقبطان باشا أن الجميع ضد أبو مرق، وأن الحكومة العثمانية عازمة على القضاء عليه دون رجعة تخلى عنه، وأرسل إلى سليمان باشا والي صيدا يخبره بأنه مطيع للدولة، لكن العساكر المرسلة إلى يافا أصابها الفتور والتعب، وطلب منه إرسال سفن من نوع ساليانه إليه؛ لأن سفنه تحتاج إلى إصلاح بعد اضطراب الأمواج أمام يافا(١١١).

وفي الوقت الذي أرسلت فيه الدولة إلى سليمان باشا بقتل أبو مرق ومصادرة أمواله، كان سليمان باشا مشغولاً بتوطيد نفوذه في عكا بعد قتل إسماعيل باشا والسيطرة عليها، فأرسل فرقة عسكرية بقيادة حسين أغا لمحاصرة

= في أعلى الوثيقة أن: "أَرسَلا كلٌّ من سليمان باشا وراغب أفندي أنَّ القبطان باشا متواطئ مع أبو مرق، مما جعله يعلن العصيان ضد الدولة، ويجب معاقبته مثل أبو مرق".

(١٠٩) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.105/4149، بتاريخ ٢٩ من ذي الحجة ١٢١٩هـ.

(١١٠) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.106/4192، بتاريخ ٢٥ من جمادى الآخرة ١٢٢٠هـ.

(١١١) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.106/4182-A، مرسلة من القبطان باشا إلى والي صيدا سليمان باشا، بتاريخ ٢٥ من جمادى الآخرة ١٢٢٠هـ.

أبو مرق المتحصن في يافا، ولتسهيل مهمته أرسل إلى مشايخ نابلس، وجنين ليكونوا مع حسين أغا للقبض على أبو مرق[١١٢]، وقد وقعت معركة بين عساكر سليمان باشا وأبو مرق، وكان الأخير قد انضمَّ إليه فلاحون وعربان جبل نابلس، وعساكر من الأدلاء (الدلاة)، والسكبان القادمة من مصر، فكان معه نحو عشرة آلاف من أجناس مختلفة، لكنهم انهزموا وتفرَّقوا إلى نواحي مصر والشام، ثم عيَّن سليمان باشا محمد أغا أبو نبوت، الذي كان أكثر خبرة ودراية بأمور الحرب للقبض عليه، فأدرك أبو مرق أنه لن يصمد في يافا، وأتلف الذخيرة والمهمات، وأخذ بعض الأشياء منها وأخذ حريمه أيضًا، وغيَّر ملابسه، وهرب من يافا مع خمسة من فرسانه إلى ناحية الشام في ليلة الثلاثاء ١٢ من شوال ١٢٢٠هـ/ ٣ يناير ١٨٠٦م[١١٣].

أقلق هروب أبو مرق من يافا كلاًّ من والي الشام سليمان باشا، ووالي بغداد علي باشا فأُرسلت رسائل إلى الدولة تحذر من احتمال ذهابه إلى بغداد، وتطلب من الدولة قتله قبل ذهابه إلى ديار بكر، والقيام بفتنة وفساد هناك، وهو ما قد يتسبب في انتشار القلاقل، وطُلب في الرسالة الموافقة على قتله حين وصوله بغداد[١١٤]. ويتبين من ذلك أن قتل

(١١٢) العورة، **تاريخ ولاية سليمان باشا**، ص٨٤.

(١١٣) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.81/3363، مرسلة من والي صيدا سليمان باشا إلى الوزير الأعظم بتاريخ ١٥ من شوال ١٢٢٠هـ.

(١١٤) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.121/4907-D، بتاريخ ٢٩ من ذي الحجة ١٢٢٠هـ.

أبو مرق كان مطلبًا من ولاة الشام وبغداد وحلب، حفاظًا على مناصبهم، وعدم منازعة أبو مرق إياهم.

يبدو أن أبو مرق بعد خروجه من يافا توجه إلى بغداد ثم إلى الشام، لكنه خرج من الشام قبل رجوع عبدالله باشا العظم من الحج، فذهب إلى حماه إبراهيم باشا في حلب، وأقام مدة عند الملا إسماعيل كبير عساكر الدلاة في حلب[١١٥]، وكتب أبو مرق إلى والي مصر محمد علي باشا طالبًا منه أن يشفع له عند الدولة العثمانية، وكان الأخير يطمئنه[١١٦]، لكن انشغاله في توطيد حكمه بمصر، وخوفه من تمرد المماليك ضده جعله يغض الطرف عن مساعدة أبو مرق بعد تأكده من إصرار الدولة على قتله والتخلص منه، وكان يخشى من نفوذه وطموحه الزائد، فقد ترضى عنه الدولة يومًا ما وتعينه على ولاية مصر، فيصبح ندًّا له، فقد كان محمد علي باشا في مصر عند تعيين أبو مرق واليًا عليها من الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، وكذلك كان يخشى غضب الدولة عليه إذا ساعده بعد إعلان عصيانه والأمر بقتله، وقد تعزله الدولة بعد سنة من الولاية كما كانت تفعل مع الولاة السابقين، ولم تكن ولاية الشام تمثل أهمية كبيرة آنذاك لمحمد علي باشا ليساعد أبو مرق ويدعمه، كما سيفعل بعد ذلك مع يوسف كنج الذي جاءه إلى مصر هاربًا من السلطان فأكرمه.

(١١٥) الشهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**، ٥٠١/٢.
(١١٦) العورة، **تاريخ ولاية سليمان باشا**، ص٨٦.

كانت الدولة عازمة هذه المرة على القضاء على أبو مرق واستئصال شأفته؛ لتساهله في تنفيذ أوامرها، وخداع السلطان العثماني في الحصول على أموال لحملة الحجاز من دون فعل شيء، وفي ذلك الوقت كان محمد أغا أبو نبوت قد وصل قلعة يافا في يوم الأربعاء ١٣ من رمضان ١٢٢٠هـ/ ٥ ديسمبر ١٨٠٥م، وهدد أتباع أبو مرق فتفرقوا عنه ودخلها، وأعطى الأمان للأهالي والسكان، وحثهم على الطاعة والدعاء للسلطان العثماني(١١٧)، وأرسل البُشرى إلى سليمان باشا، فعيَّنه متسلمًا على يافا، وأرسل للدولة العثمانية بالاستيلاء على يافا، فأنعمت عليه بمتصرفية سنجق غزة ويافا وتوابعها(١١٨)، وكان سليمان باشا يرغب في ضم سنجق غزة ويافا إلى سلطته، فبذل جهدًا كبيرًا في قتال أبو مرق لاتفاق مصلحته ومصلحة الدولة العثمانية آنذاك.

وانقطعت أخبار أبو مرق في المدة من ١٢٢٠-١٢٢٦هـ/ ١٨٠٥-١٨١١م، ثم جاءت رسائل أخرى بعد عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م إلى الباب العالي عن دور أبو مرق في حلب، ونشره الفتنة والفساد فيها(١١٩)، وهذه الرسائل كانت مرسلة من

(١١٧) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT. 27/2363، مرسلة من والي صيدا سليمان باشا إلى الوزير الأعظم، بتاريخ ١٥ من رمضان ١٢٢٠هـ.

(١١٨) العورة، **تاريخ ولاية سليمان باشا**، ص٨٦-٨٧.

(١١٩) ذكر حيدر الشهابي في حوادث سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م أن هناك شكاوى مقدمة ضد محمد باشا أبو مرق بأنه يشرب الخمر، ويلقي الفساد بين إنكشارية حلب ووواليها راغب باشا، لذلك جاءت أوامر من الدولة العثمانية بقطع رأسه. **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**، ٥٨٤/٣. وانظر: **إتحاف الأعزة**، ١٨٧/٤.

والي حلب والرَّقة، فاستفسر من الباب العالي عن توجيه منصب إلى أبو مرق المقيم في حلب، والمرفوع منه الوزارة، أو استعماله في مهمة في ناحية الشرق[١٢٠].

بعد خروج أبو مرق من يافا على النحو السابق ذهب إلى مصر ومكث مدة عند واليها محمد علي باشا، وطلب شفاعته من الباب العالي، ولما تأكد أن الباب العالي لن يقبل شفاعته فيه رحل من عنده، وذهب إلى حلب عند واليها ووالد زوجته إبراهيم باشا[١٢١]، ولم تتطرق المصادر والوثائق العثمانية أو المصادر العربية إلى المدة التي قضاها أبو مرق بعد خروجه من مصر، ولا كيفية ذهابه إلى حلب، أذهب برغبته أو ذهب منفيًّا من الدولة العثمانية؟ ولا إلى الفتنة التي أحدثها في حلب فجعلت واليها يرسل إلى الدولة العثمانية ويطلب قتله.

وذكرت المصادر العثمانية المعاصرة للحدث أنه: "بناءً على تكاسل وتراخي محمد باشا أبو مرق في مأمورية الحجاز من قبل رُفعت منه الوزارة، وأُمر بالإقامة الجبرية في حلب، لكن لتحريضه على الفتنة في حلب لغرض في نفسه أُرسل فرمان إلى راغب باشا والي حلب بقتله وإرسال رأسه إلى إستانبول"[١٢٢]. ووفقًا لهذا المصدر يتضح أن الحكومة العثمانية نفته إلى حلب، وأمرته بالإقامة فيها، فذهابه إلى

(١٢٠) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.244/13747، مرسلة إلى الباب العالي، بتاريخ ١ من صفر ١٢٢٧هـ.

(١٢١) مناع، **أعلام فلسطين**، ص٤٤.

(١٢٢) شاني زاده محمد عطاء الله أفندي، **تاريخ شاني زاده، حوادث سنة ١٢٢٧هـ**، إستانبول، ١٢٨٤هـ، ٢/١٦٣.

حلب كان بأمر الدولة العثمانية التي ما زال تابعًا لها، مع عصيانه وطغيانه. ولم تذكر المصادر العثمانية أو الوثائق المدة التي قضاها في حلب بعد خروجه من مصر، وأشارت المصادر إلى مراسلة والي حلب الدولة بشأن قتله، إذ أرسل راغب باشا والي حلب إلى الصدر الأعظم يخبره بضرورة قتل أبو مرق لما يقوم به من فساد في حلب، وأنه مع جهوده في خدمة الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا في إخراج الفرنسيين من مصر فإنه خان الدولة، ولم ينفذ أوامرها في الذهاب على رأس حملة الحجاز. لكن السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م) لم يكن في البداية يرغب في قتله، فطلب من الصدر الأعظم تغيير مكان نفيه[١٢٣].

وقد أرسل راغب باشا والي حلب رسالة إلى الباب العالي بتاريخ ١٣ من ذي الحجة ١٢٢٧هـ/ ١٨ ديسمبر ١٨١٢م أكد فيها سوء أحوال أبو مرق وفساده في حلب، وأن الدولة العثمانية إذا وجدت صعوبة في قتله فبمقدوره هو فعل ذلك ومصادرة أمواله وفقًا لأحكام الشرع، وأن أموال أبو مرق تبلغ خمسة عشر ألف قرش، وأن ديونه أكثر من ذلك، فقد بلغت أربعين ألف قرش[١٢٤]. ويتبين من ذلك رغبة والي حلب في قتله.

(١٢٣) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.300/17823، مرسلة من الصدر الأعظم إلى السلطان محمود الثاني، وعلق السلطان بخطه أعلى الوثيقة قائلاً: "أنا لم أقل اعدموا [محمد باشا أبو مرق] المظلوم، فمن قال بإعدامه أناس أشرار، يجيدون أكل مال الخزينة العامرة، وبموجب هذا التقرير يتم نفيه إلى مكان آخر".

(١٢٤) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.516/25228، مرسلة من والي حلب راغب باشا إلى الباب العالي، بتاريخ ١٣ من ذي الحجة ١٢٢٧هـ؛ =

وقد توالت الرسائل بعد ذلك إلى الباب العالي بشأن سرعة القضاء على أبو مرق وقتله لما أحدثه من فساد وفتنة في حلب، فأُرسلت بتاريخ ١٩ من ذي الحجة ١٢٢٧هـ رسالة جاء فيها: "أن محمد باشا أبو مرق المقيم في حلب يحرض على الفساد والفتنة، وقد عرضنا عليكم من قبل قتله أو نفيه إلى مكان آخر، لذا نرجو إرسال فرمان إعدامه، وقد أرسلنا سبعين إلى ثمانين رجلاً لمحاصرة بيته في حلب، وعند وصول الفرمان سنعدمه على الفور ونصادر أمواله"(١٢٥)، فما كان من السلطان محمود الثاني إلا أن أمر بقتله ومصادرة أمواله.

وقد وصف المؤرخ المعاصر لهذه المدة جابي عمر أفندي (ت: نحو ١٨١٤م) في تاريخه الذي يشمل المدة من ١٢٠٣-١٢٢٩هـ/ ١٧٨٩-١٨١٤م كيفية قتل أبو مرق، فقال: "كان هدف محمد باشا أبو مرق في أثناء وجوده في حلب هو الحصول على حكمها ليكون مثل صهره حميد باشا المقيم في ديمتوقة في ظلم الناس ونهب أموالهم"(١٢٦)، وكان يرسل

= تصنيف HAT.516/25228-D، بتاريخ ٢١ من ذي القعدة ١٢٢٧هـ؛ تصنيف HAT.516/25228-E، مرسلة من السيد محمد أمين القاضي بحلب.

(١٢٥) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.516/25228-J، بتاريخ ١٩ من ذي الحجة ١٢٢٧هـ.

(١٢٦) كان صهره محمد حميد باشا الحلبي مرفوع الوزارة يقيم في ديمتوقة، لكنه كان يظلم الناس وينهب أموالهم ويغدر بالفقراء، وعندما علم السلطان يقينًا بذلك أمر بقتله وإرسال رأسه إلى الآستانة. شاني زاده، **تاريخ شاني زاده، حوادث أواسط شوال ١٢٢٧هـ**، ١٥٢/٢-١٥٣، جودت باشا، **تاريخ جودت**، ٨٨/١٠.

باستمرار رسائل إلى كتخدا الباب في الآستانة يقول له: إذا ساعدتني في الحصول على ولاية حلب سيكون لك جائزة كبيرة مني. وامتنع أبو مرق عن إرسال أموال الدولة التي أخذها من قبل، ولنشره الفساد في حلب استخدم راغب باشا الحيلة في القبض عليه وقتله بناءً على أوامر الدولة، فكلف عددًا من رجاله بالذهاب إلى حلب، واستدعاء أبو مرق لمقابلته كأنهم قادمون من طرف الدولة، ولما كان أبو مرق يجلس مع راغب باشا في السراي في وقت العصر أمر رجاله بإحضار إبريق ماء لأبو مرق لكي يتوضأ لصلاة العصر، واستأذن هو للخروج، وأومأ إلى رجاله قائلاً: اقتلوا هذا الحريف (الوغد)، وادفعوا الفساد الكبير عن حلب، فوضع الأغوات إبريق الماء أمام أبو مرق، وعندما شرع في الوضوء خنقوه بالمنشفة، ثم أمسكوا بذراعه جيدًا، وأحكموا قبضتهم على رقبته، وقطعوا رأسه فسال دمه في وعاء الوضوء، وقام أهل الحل والعقد في حلب بكتابة محضر، وأرسلوه مع الرسول إلى داماد حسن أفندي كتخدا الباب في الآستانة، وأرسلوا رأسه المقطوع، وعلقوه على الباب الأوسط في إستانبول ليكون عبرة للناس، وذلك في ١٤ من ذي الحجة سنة ١٢٢٧هـ"[١٢٧].

(١٢٧) جابي، **تاريخ جابي**، رقم ٢١٥٢، ورق ٥٧٦ ب، ٥٧٧ أ. ذكر شاني زاده أن رأس أبو مرق المقطوعة وصلت الآستانة، وعُلِّقت على الباب الأوسط يوم ٢٧ من ذي الحجة ١٢٢٧هـ/ ١ يناير ١٨١٢م. **تاريخ شاني زاده**، ١٦٣/٢. وذكر جودت باشا الأمر نفسه لأنه نقله من تاريخه. **تاريخ جودت**، ٨٨/١٠. وأشار محمد ثريا إلى قتل أبو مرق =

وهكذا تخلصت الدولة العثمانية من أبو مرق، الذي ماطل كثيرًا في تجريد حملة ضد الدولة السعودية الأولى، ويبدو أن السلطان محمودًا الثاني كان أكثر حزمًا في إدارة الدولة من سابقيه السلطان سليم الثالث، والسلطان مصطفى الرابع، وبعد أن وصل رأس أبو مرق إلى الآستانة أرسل السلطان الفرمانات والأوامر بحصر تركته، وإرسال كشف بأملاكه وعقاراته وكل ما يخصه، وذلك في المحرم عام ١٢٢٨هـ/ يناير ١٨١٣م أي بعد مقتله بقليل(١٢٨). وكان السلطان محمود الثاني قد كلَّف والي مصر محمد علي باشا بمحاربة الدولة السعودية الأولى بعد إخفاق ولاة الشام والعراق وأبو مرق في ذلك.

= فقال: "عُزل محمد باشا أبو مرق من سيواس سنة ١٢٢١هـ ورُفعت منه الوزارة، وفي سنة ١٢٢٧هـ قُتل تأديبًا لتحريضه على الفساد في حلب بناءً على ما رفعه للدولة راغب باشا الشامي". سجل عثماني، ٢٧٩/٤.

(١٢٨) سجل القدس، رقم ٢٩٥، ص٢٣٨-٢٣٩: "صدر الأمر من الدولة العثمانية بتاريخ غرة ربيع الآخر سنة ١٢٢٨هـ إلى سليمان باشا والي الشام، وإلى قاضي القدس الشريف، وإلى متسلم غزة ورملة بضرورة حصر أموال محمد باشا أبو مرق وممتلكاته في القدس الشريف، وغزة، ورملة ونواحيها، وفي نواحي حلب، وضبطها وإرسال دفتر بها إلى الباب العالي، وحصرها بمعرفة والي الشام سليمان باشا". وجاء في الصفحة التي تليها بتاريخ ١٦ من ربيع الآخر ١٢٢٨هـ: "صورة الكشف والوقوف بالإذن من طرف الدولة العلية على بيت المرحوم محمد باشا أبو مرق والي جدة سابقًا". وحُصِرت تركته بحسب سجل القدس.

الخاتمة:

تناول البحث سيرة محمد باشا أبو مرق ومشروع حملته على الدولة السعودية الأولى، وقد توصل إلى أن أبو مرق عربيٌّ من غزة وليس جركسيًّا كما قال صاحب تاريخ غزة، والدليل على ذلك ما ذكره الجبرتي في تاريخه وهو معاصر له، ورآه في مصر عند مجيئه مع الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا، وما ذكره الدارندلي في كتابه من أنه عربي من وجهاء غزة، وقد التقى به أكثر من مرة؛ لأنه كان في صحبة الوزير نفسه في حملته على مصر.

وكان أبو مرق مقربًا من السلاطين العثمانيين والوزراء، فجاء رفقة الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا إلى بلاد الشام للذهاب إلى مصر، وقدَّم مساعدات كثيرة إلى الصدر الأعظم في غزة ويافا والعريش، وأصبح محل ثقته، فعينه متصرفًا على غزة ويافا وفلسطين، وغيرها، ومنحه السلطان سليم الثالث لواء القدس على سبيل المالكانه، ثم عُين واليًا على مصر، والشام فيما بعد.

وقد مثَّلت الدولة السعودية الأولى خطرًا كبيرًا على الدولة العثمانية منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، ولا سيَّما بعد توحيد مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف، ودخول الحجاز كاملاً في أيديها، وهو ما أزعج السلاطين العثمانيين، فكلفوا ولاة الشام والعراق بتجريد حملة عليها، ولما أخفقوا أسندت أمر الحملة إلى محمد باشا أبو مرق، ظانَّة أنه يستطيع القضاء على الدولة السعودية الأولى وفتح طريق الحجاز.

كان للصراع بين الأشراف في الحجاز، والتنافس بين ولاة الدولة العثمانية في الشام، والعراق أثر كبير في إيصال معلومات خطأ بشأن الدولة السعودية الأولى إلى الدولة العثمانية، وكان للحروب العثمانية الروسية، والاضطرابات العسكرية الداخلية في الدولة أثر كبير في انشغالها عن الحجاز مدة طويلة تمكَّنت فيها الدولة السعودية الأولى من تثبيت حكمها والتوسع، وذكر جودت باشا أن الدولة العثمانية تأخرت في القضاء على الدولة السعودية الأولى لتخبط الآراء بين رجال الدولة وعلمائها عن طبيعة هذه الدولة وقوتها.

وكان انشغال الدولة العثمانية بمشكلاتها الداخلية والخارجية وندرة كوادرها الفذة في عصر السلطان سليم الثالث جعلها تلجأ إلى بعض الولاة والقوى المحلية العربية في ضرب القوى المعادية للنفوذ العثماني في الحجاز كالدولة السعودية، فلجأت إلى أبو مرق الذي كان يطمح في الوصول إلى حكم الشام بعد الجزار، وتأسيس سلطة كبيرة فيه.

وأثبت اضطرار الدولة العثمانية إلى قبول تكليف أبو مرق بالقيام بحملة ضد الدولة السعودية الأولى ضعف السلطان العثماني ورجال الدولة العثمانية في فهم طبيعة هذه المرحلة، وفهم القوة التي وصل إليها السعوديون آنذاك، فظنت أن أبو مرق سينجح بقواته المحدودة وأمواله القليلة في القضاء على الدولة السعودية الأولى التي زاد نفوذها كثيرًا، لكنه أخفق كما أخفق ولاة الشام والعراق، والجزار بقوته وسلطته.

بذلت الدولة العثمانية جهدًا كبيرًا في الوقوف بجوار أبو مرق، ودعمه بالمال والسفن والسلاح؛ ليخلصها من الدولة السعودية الأولى، فعينته واليًا على جدة والحبش لتسهيل مهمته، والإفادة من عائدات الجمارك في الإنفاق على الحملة، إضافة إلى الأموال المرسلة إليه من الدولة، وأرسلت أوامرها إلى ولاة الشام والعراق ومصر للوقوف معه ومساندته.

وتبين من الوثائق العثمانية أن السلطان محمودًا الثاني لم يرد قتل أبو مرق لوقوفه مع الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا في حملته على مصر، إذ كان يريد نفيه إلى مكان آخر، لكن الدسائس التي حصلت حوله من جانب والي حلب إبراهيم باشا، ووالي الشام سليمان باشا من قبل كان لها أثر في قتله في النهاية ومصادرة أمواله.

الملاحق

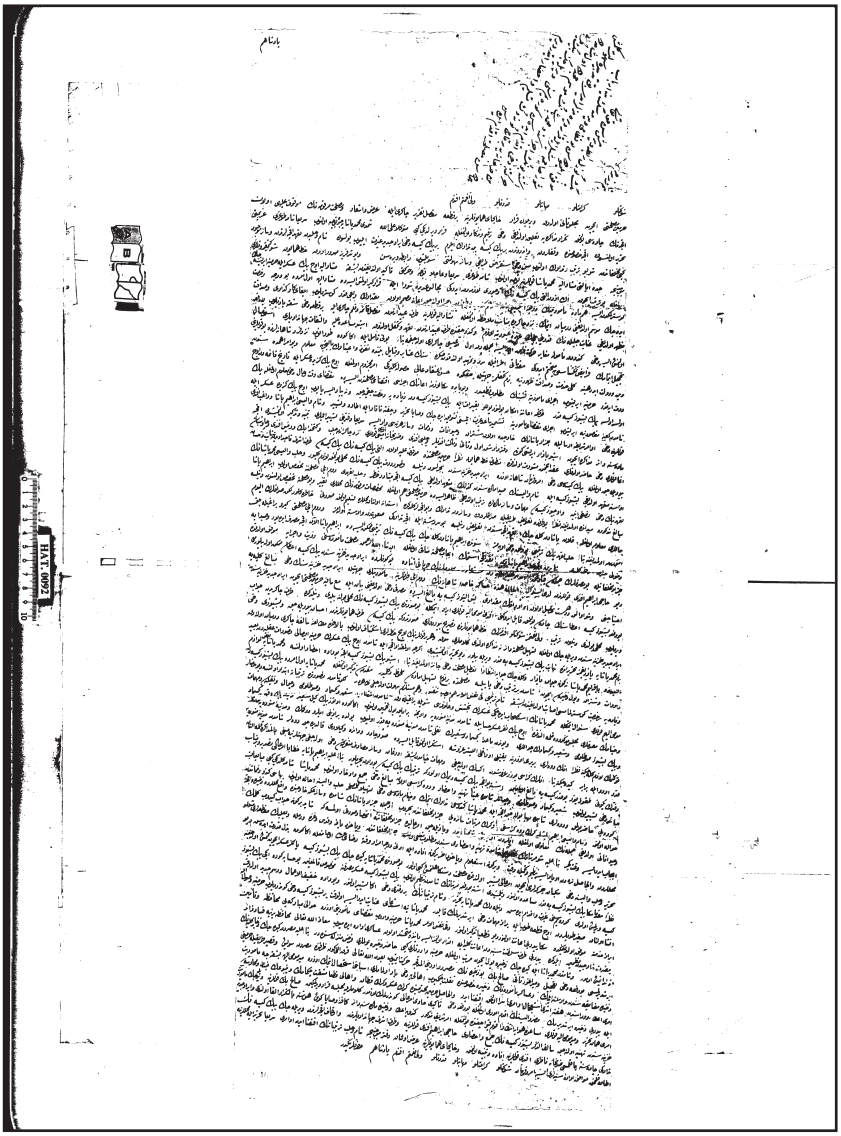

وثيقة برقم (HAT.92/ 3761) بشأن توجيه إيالة جدة إلى أبو مرق، وتكليف إبراهيم باشا والي الشام وراغب أفندي بتوفير المهمات والذخائر له من تركة أحمد باشا الجزار، بتاريخ ٢٩ من ذي الحجة ١٢١٩هـ

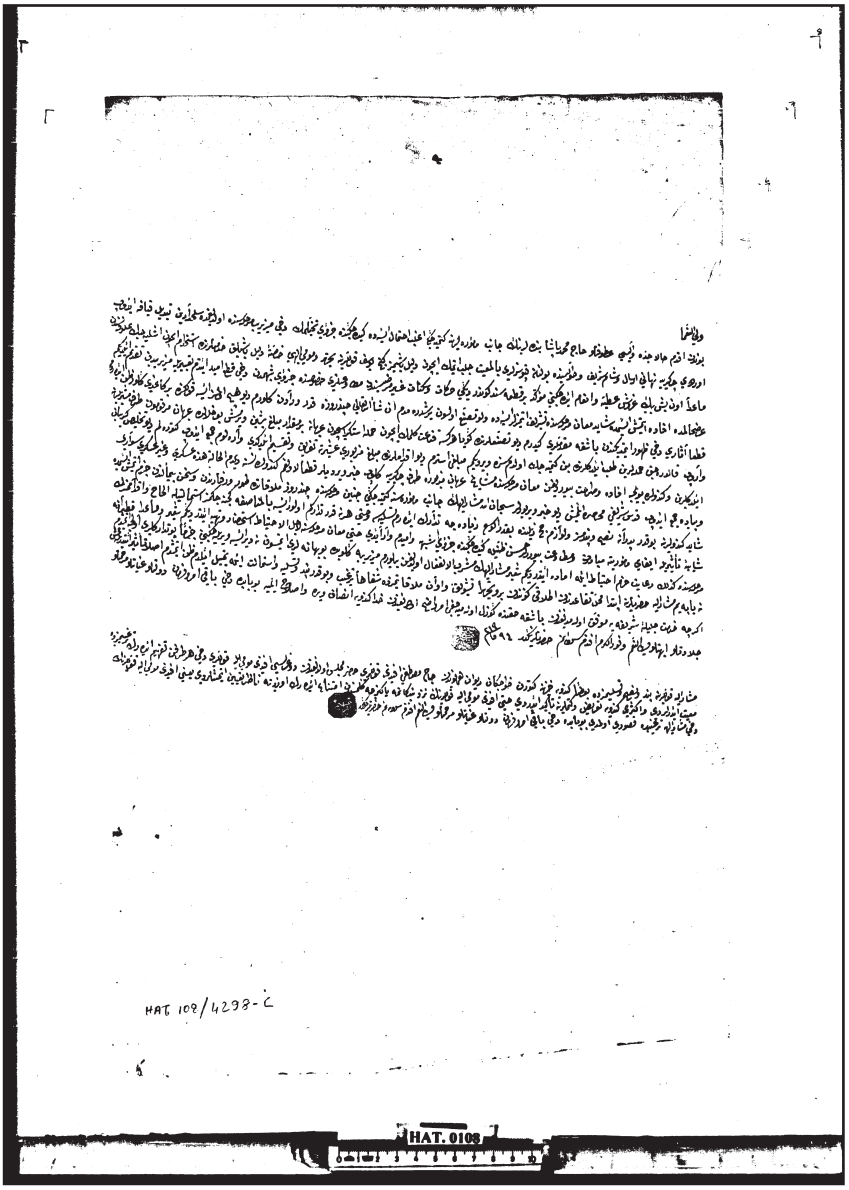

وثيقة برقم (HAT.108/ 4298-C) بشأن عدم ذهاب أبو مرق إلى مأموريته، وهجومه على قرى القدس، وعدم سماع النصيحة، وادعائه أن القدس ملكه، بتاريخ ٢٩ من ذي القعدة ١٢١٩هـ

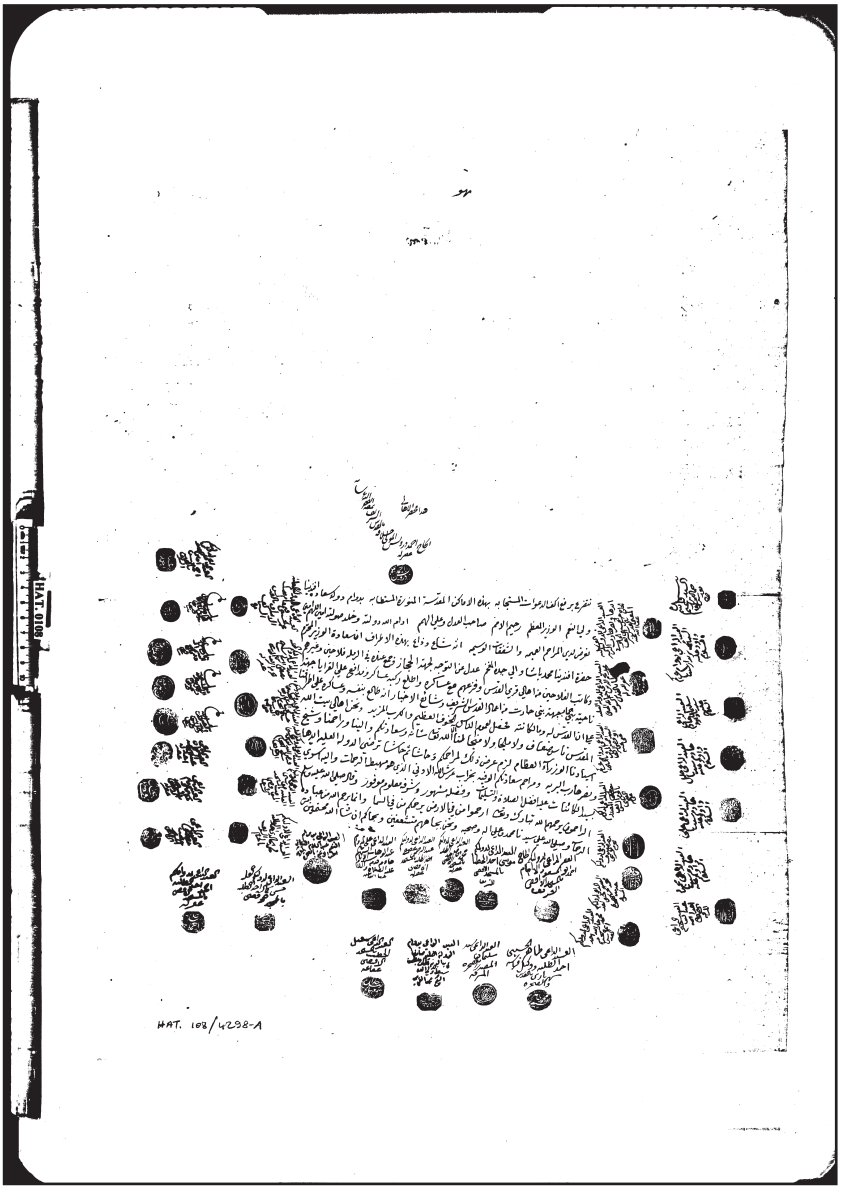

وثيقة برقم (HAT.108/ 4298-C) باللغة العربية، مرسلة من أهالي القدس عن هجوم أبو مرق على قرى القدس، وعدم توجهه لمأموريته في الحجاز، وخوف الناس من ظلمه، بتاريخ ٢٣ من شوال ١٢١٩هـ

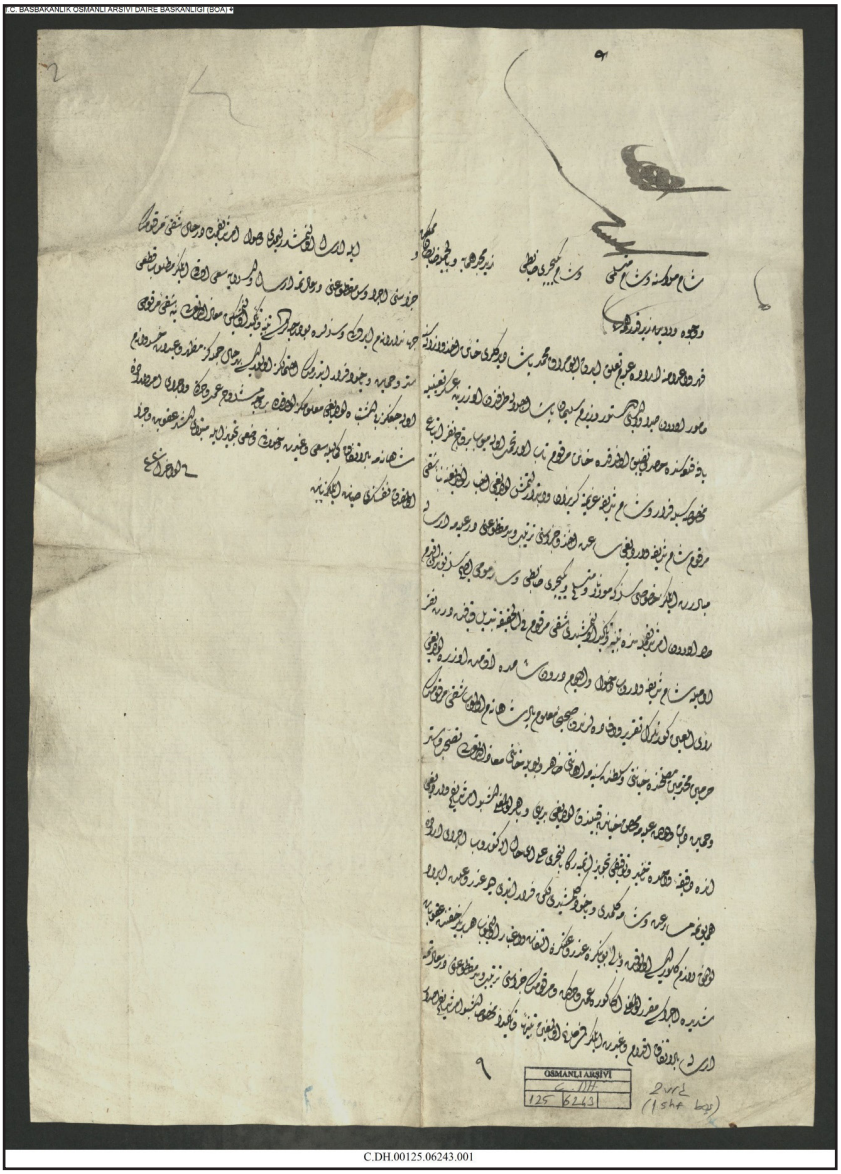

وثيقة برقم (C.DH.125/ 6243) مرسلة من الباب العالي إلى قاضي الشام ومتسلمها وضابط اليكيجرية في الشام بشأن مساعدة سليمان باشا والي الشام على قتل أبو مرق وإرسال رأسه إلى إستانبول، بتاريخ أواخر شوال ١٢٢٠هـ